روايات رومانسية عالمية

عبير

فراشة المحبة

هيلين بيانشن

أنتِ لي



مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

فراشة المحبة

أنت لي

«ماذا كان يمكنها أن تهدي رجلاً يبدو أنه يملك كل شيء؟ وبعد بحث مرهق قررت أن تهديه ولاعة مذهبة من صنع احدى أشهر الشركات العالمية وعلبة مذهبة لسكائره وحفرت على كل منها الحرفين الأولين لأسمه».

... هكذا كانت سالي... فتاة عادية ذات ماض متواضع وعلاقات طبيعية جداً، لكنها التقت لوشيانو أندريتي في ظروف شديدة الصعوبة وكان عليها أن تتزوجه انقاذاً لأبيها من الافلاس والحرمان وبدا واضحاً منذ اللحظة الأولى أن أندريتي يعرف بالضبط ما يريد، يمتلك بلا هوادة كل ما يعود اليه، وان سخريته وتهكمه يصفعانها بعنف. أقسمت بأنه سيندم على اليوم الذي أرغمها فيه أن تتزوجه بدون حب وكانت تنوي محاربته الى ما لا نهاية...

مكتبة دار الفنون

١٥شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر

ت/٠١٢٢٣٧٨٦٤١٨

فراشة المحبة

١ ـ والدها في مأزق

رفعت سالي رأسها بأسف عندما سمعت مقدم البرامج الغنائية والموسيقية يعلن عن الوقت وعن حلول موعد النشرة الاخبارية. مدت يدها وأدارت المؤشر الى محطة أخرى تبث الموسيقى الهادئة وراحت تتأمل المحيط.

كان شاطىء تشايمان، أي رجل الصين، الواقع في طرف الخليج الصغير المسمى خليج الصدف منطقة رائعة وتبعث السرور والارتياح في النفوس، وبخاصة خلال ايام العمل. ذلك ان منظره يختلف تماماً في عطلة نهاية الاسبوع عندما يجتاحه عشرات الاشخاص الذين يسعون اليه من عدة انحاء مجاورة. الطقس حار جداً والمياه الباردة والمنعشة تدعوها الى السباحة وتبريد الجسم الذي كاد يلتهب بسبب الساعات الثلاث التي امضتها مستلقية في الشمس.

سالي فتاة جميلة القد والقامة ذات عينين زرقاوين وشعر أشقر فضي وبشرة ناعمة اضفت عليها شمس الصيف لوناً برونزياً أخاذاً. وكانت القطعتان الصغيرتان اللتان تتألف منها ثياب السباحة تكشفان اكثر مما تغطيان وتستران. وتذكرت سالي ملاحظات والدها المرحة واللاذعة احياناً عن جمالها وسحرها، على رغم اعتراضاتها المتكررة واصرارها على انها فتاة عادية.

تذكرت والدها بمحبة وحنان. هل حقاً مضت ثمانية اعوام على انهاء دراستها وانتقالها للاقامة معه في شقته الواقعة باحدى ضواحي سيدني. كانت طفلة صغيرة في صفوف الحضانة عندما انفصل والداها عن بعضهما. ونجم عن ذلك

بالنسبة الى الطفلة الوحيدة تسجيلها في مدرسة داخلية. وكانت تقضي هذه العطلة مع والدها في شقته بضاحية روز باي، وتلك العطلة مع والدتها في بيتها الفخم بمنطقة دابل باي. ولحسن حظها، لم تكن سالي موضع خلاف بين والديها حول مسألة الوصاية. كانا يحبانها كثيراً. وبما أنهما ظلا يقيمان علاقة مرضية ومبنية على الاحترام المتبادل ومصلحة ابنتهما الوحيدة، فان الطلاق لم يؤثر كثيراً على سالي. الا انها عندما اصبحت في سن تحتاج فيه اكثر من أي وقت مضى لرعاية الأم وصداقتها، تزوجت والدتها وانتقلت الى امريكا تاركة ابنتها تحاول قدر استطاعتها تذليل الصعاب الكبيرة التي تواجهها في السنوات المراهقة.

بعد ان انهت سالي دراستها المتوسطة، امضت عامين وهي تدرس فن الطبخ وتخرجت من المدرسة الفندقية بنجاح باهر. ونتيجة لذكائها في هذا المجال ولأمانتها ومثابرتها في العمل، تحولت سالي خلال ست سنوات من عاملة مطبخ بسيطة الى مساعدة لكبير الطهاة في احدى ارقى المؤسسات الفندقية والتموينية في سدني.

القت سالي نظرة سريعة على ساعة يدها فلاحظت ان عليها العودة فوراً. جمعت اغراضها وسارت بسرعة نحو سيارتها الجميلة والسريعة التي حصلت عليها كهدية من والدها في عيدها الحادي والعشرين. وفي الطريق تحولت افكارها الى اطباق العشاء التي ستعدها تلك الليلة. معظم الترتيبات جاهزة منذ الصباح، لكنها ستحتاج الى ساعة كاملة على الأقل من التركيز الفعلي لكي تخرج بعشاء لذيذ وشهيّ يليق بها.

جوزيف باليتغر، أو جو كما يناديه اصدقاؤه، رجل نشيط للغاية في المجالات الاجتماعية. يملك ويدير شركة بناء وتعهدات صغيرة ويحب كثيراً اقامة الحفلات مرتين او اكثر في الشهر. وكانت حفلة العشاء تلك الليلة واحدة من عدة حفلات اوكلت مهمة اعداد مأكولاتها وخدمة ضيوفها الى سالي. وتذكرت سالي ان من بين المدعوين ذلك المساء اوسكار واوليفيا نوردستاين وهما كهلان لطيفان وساحران كثيراً ما كانا على رأس قائمة الضيوف في حفلات والدها. وسيحضر حفلة باليتغر ايضاً تشارلز بايكرسفيلد وزوجته اندريا وابنتهما

شانتريل.

كانت الطريق الساحلية عريضة ومتعرجة وتمر قرب عدة خلجان كبيرة وصغيرة. وبمجرد وصولها الى الجسر الحديدي الضخم الذي يربط تلك المناطق بمدينة سيدني شعرت سالي وكأنها انتقلت من عالم الى آخر. فمن هدوء خليج الصدف وسكونه الى ضجيج المدينة وازعاجها، ومن طرقات شبه خالية الى طرقات تزدحم فيها السيارات بشكل لا يصدق. ولكن لماذا الدهشة والاستغراب! فهذه هي سيدني، كبرى مدن استراليا من حيث المساحة وعدد السكان. وابتسمت سالي عندما تذكرت ان الكثير من غير الاستراليين يظنون خطأً ان سيدني هي العاصمة وليس كانبيرا كما هو الواقع. خففت سالي سرعة سيارتها عندما تحولت الى طريق نيوساوث هيد ولما اصبحت على مقربة من روز باي شعرت باهتزاز غير عادي في سيارتها. وتمنت الا يكون السبب ثقباً في احدى العجلات ولكن تمنياتها لم تتحقق. فوضعت اشارة واوقفت السيارة الى جانب الطريق ثم نزلت منها لتقوم بعمل يضايقها كثيراً وهو ابدال العجلة. وفيما كانت تخرج العدة الضرورية من الصندوق، سمعت رجلاً يسألها:

«هل يمكنني المساعدة؟»

استدارت بتمهل لتواجه صاحب ذلك الصوت القوي والعميق، فشاهدت رجلاً ذا ملامح قاسية وساخرة ونظرات متوحشة وجائعة. ومع انه كان انيقاً، حليق الذقن، مسرّح الشعر ويقف بكل تهذيب على خطوات منها، فقد شعرت بأنها تريد الهرب والاختباء. ولكنها احتفظت برباطة جأشها وردت عليه ببرودة وعدم اكتراث علّه يتركها وشأنها. وقالت له بايجاز وهي تدير وجهها بعيدا عنه:

«اني قادرة على تنفيذ هذا العمل بمفردي.»

«انا لم اتوقف هنا لمجرد مراقبتك وانت تعملين؟»

قالها بهدوء وجدية. واعجبتها في لهجته تلك اللكنة الخفيفة التي اضافت الى صوته القوي جمالاً وجاذبية. ابتسمت بشيء من التهكم وقالت له وهي تبعد قليلاً عن السيارة:

«اذاً، تفضل؟»

رفع حاجبيه بخبث ثم خلع سترته الانيقة واقترب من سالي قائلاً:

«هل تمانعين في حملها ريثما انتهي من العمل؟»

دهشت سالي بسبب هذا التصرّف ولكنها كتمت دهشتها وأخذت السترة منه فحملتها كدرع واقي. لم تعرف لماذا احتفظت بها على ذلك الشكل، ولماذا بدأت تتحسسها بتلك الحشرية؟ انها مجرّد سترة انيقة مصنوعة من قماش ممتاز! حاولت ابعاد تفكيرها عن سترة الرجل فتطلعت حولها لتشاهد على بعد خطوات قليلة سيارته الفخمة التي لا يقتنيها الا اللذين يملكون اموالاً طائلة... ويحبون السرعة. وفيما هي على تلك الحالة من شرود الذهن وعدم التركيز على شيء محدد، انهى الرجل عمله فتمتمت له سالي بكلمات شكر مهذبة واقتربت من السيارة. هز الرجل رأسه بلا مبالاة وقال لها باستهزاء وهو يكاد يلتهمها بنظراته:

«لم يكن عليك وانت في هذا الوضع المغري والمثير الا ان تنتظري اول رجل يمر من هنا ليقوم عنك بأي عمل تريدين.»

ثم أخذ سترته بيده اليسرى فيما وضع يده اللاخرى على كتفها وتركها تنزلق حتى المرفق وهو يقول:

«يبدو انك تعرضت للشمس فترة طويلة.»

قفزت سالي الى الوراء بسرعة وكأن حيّة سامة لسعتها أو ناراً ملتهبة احرقت ذراعها، وقالت له بغضب فائق:

«يا للوقاحة! كيف تجرؤ على ذلك ! »

وتمنت في تلك اللحظة المزعجة لو انها كانت ترتدي القميص الحريري الذي رمته على المقعد الأمامي بمجرّد وصولها الى خليج الصدف. ولأن الطقس حار جداً وكانت مضطرة للعودة بسرعة الى البيت، قررت البقاء في ثياب البحر غير حالمة بأن حادثة كهذه ستواجهها قبل دقائق من وصولها الى البيت. وزادت من غضبها واشمئزازها تلك الضحكة الساخرة التي اطلقها هذا الرجل والتي تعطي الانطباع بأنه من النوع الذي يجرؤ على أي شيء. ثم سمعته يقول لها بالايطالية وهو يسير نحو سيارته:

«الى اللقاء ايتها الشقراء الجميلة.»

اقفلت سالي صندوق سيارتها الصغيرة بعصبية فائقة وهرعت الى مقعدها تلهث بقوة وكأنها ركضت مئات الأمتار. انه بلا شك ينال الجائزة الكبرى في أي منافسة او مقارنة مع أي من المتغطرسين والمتعجرفين والمزعجين اللذين تعرفت عليهم في حياتها. انتظرت بضع دقائق بعد ذهابه ثم اطلقت لسيارتها العنان باتجاه الحيّ حيث تسكن. وعندما اوقفت السيارة أمام المبنى كانت سالي لا تزال تغلي غضباً بسبب قحة ذلك الرجل ونظراته الماكرة. دخلت الشقة واغلقت الباب وراءها وهي تنادي:

«مرحباً! ها قد عدت.»

ولما لم يجبها أحد، توجهت الى المطبخ واعدت الطبق الرئيسي ووضعته في الفرن. ثم قررت ان الوقت يسمح لها بأخذ حمام بارد وسريع ينعشها ويخفف من الضيق والازعاج اللذين اصاباها قبل قليل. توجهت الى غرفتها وخلعت ثيابها ودخلت الحمام الخاص بها.

عادت الى غرفتها بعد عشر دقائق مرتاحة ومسرورة وارتدت اجمل ثيابها، ثم امضت حوال نصف ساعة في تزيين نفسها وتسريح شعرها واختيار العطور التي تستخدمها تلك الليلة. في اي حال، فان فيليب يجدها رائعة وساحرة مهما ارتدت من ثياب وكيفما تزينت او تعطرت. ولكن سالي اصبحت حائرة فيما يتعلق بارتباطها مع فيليب. ذلك انه اصبح في الفترة الأخيرة مزعجاً بعض الشيء لشدة حرصه على كلّ ما تقوم به ولأنه يطالبها باستمرار بالزواج منه لماذا تتردد في الموافقة؟ تنهدت بقوة وعصبية وعادت تسأل نفسها عن فيليب. هل تخطىء كثيراً عندما تريد لمشاعرها ان تبلغ من الاثارة حداً يمنعها من التفكير بموضوعية وروية؟ ثمة رجل في مكان ما مخصص لها وحدها فقط! ام ان مثل هذه الأمور لا توجد إلاّ في صفحات الروايات الغرامية ومخيلات المؤلفين والشعراء!

اعادتها نقرة خفيفة على باب غرفتها الى الحاضر والواقع. ردت بأنها جاهزة وخرجت الى القاعة لتلتقي جو بالينغر الذي ابتسم وقال:

«فيليب هنا.»

ثم مدّ ذراعيه وضمها اليه قائلاً:

«اوه، كم تبدين جميلة يا حبيبتي.»

رفعت سالي نفسها قليلاً بالوقوف على رؤوس اصابعها وقبّلت الرجل على ذقنه وهي تجيبه:

«وأنت تبدو وسيماً جداً يا أبي.»

ثم ابتسمت وقالت:

«اعد شراباً بارداً لفيليب ريثما احضر. اني مضطرة الآن للذهاب الى المطبخ.»

ضحك جو وقال:

«اعتقد انه يفضل الانضمام اليك في المطبخ. الضيوف الآخرون لن يصلوا قبل نصف ساعة من الآن.»

وصلا الى القاعة، فوقف على الفور شاب وسيم طويل القامة في منتصف العشرينات واقترب منها ماداً ذراعيه قائلاً:

«ها قد وصلت ايتها الحبيبة. انك كالعادة رائعة الجمال وذات سحر أخاذ.»

ردّت عليه سالي مازحة:

«هذا الاطراء سيكفل لك كوباً اضافياً من العصير البارد المنعش. تحدث مع أبي، فأنا مضطرة لتمضية بعض الوقت في المطبخ.»

انسحبت بسرعة ادهشت فيليب وجعلته يقطّب جبينه. وعندما وصلت الى المطبخ تنهدت بقوة وأخذت نفساً عميقاً. ربّاه، ماذا حدث لي! لماذا الليلة بالذات! لماذا أشعر بأن علي مراجعة حساباتي والتحقق من مشاعري وأحاسيسي! لماذا!

اعدت الحساء ووضعته على نار خفيفة ثم ذهبت الى غرفة الطعام وبدأت تعدّ الطاولة. وبعد أن أنهت جميع الترتيبات الضرورية خرجت الى قاعة الاستقبال حيث أثنت عليها اندريا بايكر سفيلد بحرارة قائلة:

«سالي، كم تبدين ساحرة! يجب ان تطلعيني على سر احتفاظك بالهدوء والانتعاش مع انك تمضين وقتاً طويلاً في المطبخ في ليلة حارة كهذه.»

ردّت عليها سالي بابتسامة جاهزة:

«ارتدي اقل قدر من الثياب وركزي انتباهك واهتمامك على ما تقومين به.»

تدخلت شانتريل متهكمة بدون انفعال:

«أمي، انت لا تدخلين المطبخ ابداً. اذن، فالسؤال في غير محله تماماً.»

ثم ضحكت بسرور مصطنع وهي تنظر الى رأس سالي متابعة حديثها:

«منذ متى، ايتها العزيزة سالي، اصبح اعداد العشاء يحتاج الى مثل هذه السرعة؟ شعرك لا يزال رطباً!»

ابتسمت سالي بمكر وردّت عليها بتهذيب يحمل طعم المرارة:

«هذا من جملة اسراري. فعدم تجفيف الشعر يساعدني على مواجهة هذا الحر الخانق.»

«ماذا اعددت لنا من روائعك المذهلة هذه الليلة ايتها الحبيبة؟»

تطلعت سالي بارتياح نحو الصوت لأنها عرفت ان صاحبة السؤال هي أوليفيا توردستاين التي تحبها وتحترمها. ابتسمت بتهذيب واجابتها:

«يمكنني ان أخبرك عن الحلوى والفاكهة التي سنقدمها بعد العشاء. اما ما يسبق ذلك فسوف احتفظ به كمفاجأة.»

اقترب منها فيليب وقال لها بصوت خافت لئلا يسمعه احد:

«تبدين غير مرتاحة او مستقرة هذه الليلة!»

ارغمت نفسها على الابتسام وردت عليه قائلة:

«امضيت اليوم عدة ساعات على شاطىء البحر. ربما الشمس هي السبب.»

«لديّ تذكرتان لحفلة الاوبرا مساء غد، هل تذهبين معي؟»

نظرت الى عينيه الحالمتين اللتين كانتا تتطلعان بشوق لمعرفة الردّ، فلم يطاوعها قلبها على الرفض. اجابته بهدوء ولطف:

«شكراً، يسعدني ذلك.»

ارتاحت قسمات وجهه وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة وهو يقول:

«سأتصل بك في السابعة كي نذهب اولاً لتناول العشاء.»

ربما ستنظر الى الأمور بشكل آخر وبصورة مختلفة عندما تلتقيه غداً. اما الليلة فهي فعلاً متضايقة ولا تدري السبب الحقيقي. واكبر دليل على ذلك انها اضطرت لممارسة ضبط النفس وبذل جهد حقيقي كيلا ترد على فيليب بكلمات قد تجرح شعوره او حتى كرامته. ابتسمت للمدعوين بتهذيب وانسحبت الى

المطبخ لاحضار الحساء. ثم دعا جو ضيوفه للانتقال الى غرفة الطعام.

كان الحساء لذيذاً وشهياً. اما البطة المحشية فكانت رائعة جداً. وابتسمت سالي بسرعة لوالدها عندما اثنى على مهارتها وحسن ذوقها. ولكن شانتريل لم تتمكن من اخفاء حسدها وكلماتها اللاذعة، فقالت:

«العزيزة سالي موهوبة في عدة امور. انا لا اعرف حتى كيف اغلي الماء... ولكن لن اضطر ابداً للقيام باي عمل بنفسي، اليس كذلك؟»

ردّت عليها سالي بجملة مهذبة وهي تحاول اخفاء انزعاجها، الا ان تلك الفتاة اللعينة اصرّت على متابعة الحديث، فقالت:

«أنا لا أنوي القيام بأي شيء أكثر ارهاقاً من كوني شريكة فاتنة لزوج غني.»

«من أصحاب الملايين بلا شك، كي يتمكن من تلبية رغباتك المتعددة وطلباتك الكثيرة.»

«هذا اقل ما يقال. اعتقد انه لا يزال يوجد عدد لا بأس به من اصحاب الملايين ينتظرون زوجة مثلي.»

ابتسمت سالي وقالت لها برقة مصطنعة:

«سأصلي لك حتى لا يكون الذي سيقع في شركك اصلع بديناً وتخطى الخمسين.»

ثم وجهت نظرها الى الآخرين قائلة:

«سأحضر الفاكهة والحلوى.»

اثنى فيليب على روعة الحلوى، فأحنت رأسها قليلاً نحوه الا انها لم تقل شيئاً او حتى تنظر اليه. وسمعت والدها يقول بحنان:

«كالمعتاد عشاء رائع يا حبيبتي.»

ثم وقف ومدّ ذراعيه نحو ضيوفه وهو يشير الى قاعة الجلوس:

«ما رأيكم في الانتقال الى مساحة اكبر ومقاعد افضل...»

«في حين تهتم الحبيبة الصغيرة بالأطباق والصحون.»

قالتها شانتريل بتهكم متجاهلة بوقاحة اشارات احتجاج غاضبة من جانب والدها.

«ليست المسألة سيئة الى الحد الذي تتصورين!»

وضحكت سالي. ماذا كان يمكنها ان تفعل سوى ان تضحك! فلو اطلقت لغريزتها النسائية العنان، لكانت امسكت شانتريل من شعرها وشدت... بقوة فائقة. وتابعت حديثها بهدوء واعصاب باردة:

«لديّ جنيّة اسمها الجلاية اضع فيها جميع هذه الصحون والكؤوس فتنظفها خلال فترة قصيرة جداً وبدون ان اضطر انا للبقاء في المطبخ.»

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة والنصف عندما غادر الزوجان نوردستان وعائلة بايكرسفيلد منزل جو بالينغر. وبعد لحظات تطلعت سالي نحو فيليب وعلى وجهها ابتسامةاعتذار وقالت له برقة، محاولة قدر استطاعتها تجنب النظر الى عينيه الحزينتين والمسائلتين:

«تصبح على خير يا فيليب. اني مصابة بصداع قوي، ربما بسبب الشمس. اضف الى ذلك ان الوقت متأخر.»

رفعت رأسها نحوه كي يقبلها. اوه، لماذا لم تعد تشعر بشيء عندما يقبلها؟ ألم يكن من الأفضل ان يكون فيليب شقيقاً أو قريباً؟ انه يعجبها كثيراً، ولكن قبلاته ولمساته لم تعد تثير فيها شيئاً! وتنهدت سالي بارتياح بالغ عندما خرج فيليب واقفل الباب وراءه.

«هل أنت متعبة جداً يا حبيبتي؟»

تطلعت سالي نحو والدها بمحبة وحنان قائلة:

«قليلاً. اعتقد ان شانتريل تغيظني الى درجة كبيرة... الى درجة انه يصعب عليّ اثناء وجودها قربي الاحتفاظ بالروية وبرودة الاعصاب.»

نظر اليها والدها بتفحص وتدقيق متسائلاً:

«وفيليب؟ هل اختلفتما حول شيء ما؟ كان واضحاً الليلة انك تتعمدين

استفسرت منه بانزعاج:

«هل كان التجنب واضحاً الى هذا الحد؟ ربما كان ذلك عائداًالى حرارة الطقس... او لأن عيد الميلاد اصبح على الأبواب. اني على الأرجح بحاجة الى عطلة.»

«احزان آخر السنة؟ انا أشعر ايضاً بأني متعب جداً ومنهوك القوى.»

«انك تقلق كثيراً.»

قالتها سالي بتأنيب واضح وهي تنظر ملياً الى وجهه المتعب والخطوط المتعددة حول عينيه. ولاحظت انه فعلاً يبدو مرهقاً الى حد كبير. لون بشرته لم يكن جيداً مع أنه يمضي عدة ساعات في الشمس والهواء الطلق. وكذلك ازعجتها مسحة رمادية اللون حول فمه لم تكن موجودة من قبل. وفجأة تغير لونه نحو الاصفرار الشديد وبدأ يتهاوى امامها. صرخت مذهولة واسرعت لمساعدته على الجلوس في اقرب كرسي.

«علاجي...ارجوك في الدرج... القريب من سريري!»

قالها بصعوبة وهو يلتقط انفاسه. فأسرعت سالي واحضرت الزجاجة واعطته حبة ثم ركضت الى المطبخ واحضرت قليلاً من الماء ليتمكن من ابتلاع الحبة بسهولة. وما هي الا لحظات حتى استعاد معظم لونه واسترخى بشكل ملحوظ وكانت سالي تنظر اليه بخوف وهلع وترقب ثم سألته بلهفة:

«الآن، هل يمكنك ان تشرح لي بالضبط ما يجري معك؟»

وجه جو ابتسامة ضعيفة نحو ابنته وقال لها مطمئناً:

«الوضع يبدو اسوأ بكثير مما عليه فعلاً.»

لم تقبل هذا الجواب المانع واصرت على معرفة الحقيقة:

«كم مضى عليك وانت تتناول مثل هذه الحبوب؟»

لم يجب فقالت له برفق وحنان:

«انا ابنتك وصديقتك، وأحبك كثيراً. أليس لي الحق بأن أعرف؟»

هز رأسه بشيء من الضعف والاستسلام زادت من قلقها وخوفها. ثم قال:

«نعم، لك الحق. والجواب انني اتناول هذه الحبوب منذ عدة أشهر.»

وعندما صرخت بذهول وأسى، سارع الى القول:

«لا تخافي يا حبيبتي! سأعيش سنوات عديدة باذن الله.»

ثم ابتسم محاولاً اضفاء شيء من المرح على ذلك الجو الحزين المخيم عليهما وقال:

«اني احتفظ بزجاجات هذا الدواء في كل مكان... في البيت والعمل والسيارة...

وحتى في جيوبي.»

«أليس من الأفضل ان تتقاعد عن العمل؟»

لم تعجبها نظرات الأسى والحزن التي حلت فجأة محل الابتسامة اللطيفة والرقيقة. وبدأت الشكوك تغزو رأسها وأفكارها. الكل يعلم ان العديد من صغار رجال الاعمال يصفون شركاتهم لأن الوضع الاقتصادي السائد حالياً لا يفسح في المجال امام وجود سيولة نقدية كافية. ومع ان لديه موجودات ذات قيمة تجارية كبيرة، لكنه يمكن ان يكون غارقاً حتى اذنيه في الديون. وبقلق بالغ سألته دون ان تنظر اليه مخافة احراجه:

«هل الأوضاع سيئة الى درجة كبيرة؟»

«يسرني، اذا صح التعبير، انك توصلت الى هذا الاستنتاج. فقد كنت اشك كثيراً في قدرتي على اخفاء هذه المسألة عنك فترة اطول.»

تملكها شعور غريب بأنها على وشك الاستماع الى كلام سيحزنها الى حد بعيد. ومع ذلك فقد سألته بلطف ونعومة:

«هل تواجه ضائقة مالية؟»

هز برأسه علامة الايجاب وقال:

«انا بحاجة الى كمية من المال، الى كمية كبيرة!»

«استعمل مدخراتي، وهناك ايضا سيارتي التي يمكن بيعها...»

قاطعها برقة وحنان وهو يهز رأسه بتأثر واضح:

«شكراً لك ياحبيبتي، ولكن مدخراتك لا تغطي سوى جزء يسير جدا مما احتاجه.»

«أنك تملك هذه الشقة... وهناك ايضا شركتك وموجوداتها. أليست هذه الممتلكات كافية كضمانة لحصولك على قرض من أحد المصارف؟»

اضطر عندئذ لكشف اوراقه كاملة، فقال لها بأسى:

«هذه الممتلكات كلها مرهونة لأمر المصارف. حركة البناء ضعيفة وبطيئة للغاية، لدرجة انه لم تعد تتم عقود جديدة على الاطلاق. قمت ببعض المجازفات غير المدروسة، والتي كانت اقرب الى المقامرة منها الى المغامرة، فارتدت على نتائجها

السلبية بانتقام ما بعده انتقام.»

«هناك مؤسسات اقراض اخرى...»

قاطعها وهو يهز رأسه متأسفا:

«جربتها كلها.»

حاولت سالي ان تبدو عملية اكثر منها عاطفية وان تتصرف بروية وموضوعية فسألته بهدوء:

«ماذا يحدث الان؟»

«المصارف ستحرمني حق استرجاع العقارات والممتلكات المرهونة، والمدينون سيقيمون عليّ دعاوي جزائية، واندريتي سيعمل على افلاسي.»

رباه، فعلا ان المشكلة أسوأ بكثير مما توقعت! وسألته صارخة:

«اندريتي؟ من هو هذا الرجل؟»

«انه صاحب احدى اضخم الشركات الاستشارية في المنطقة، وممول ناجح الى ابعد الحدود. وهو اكثر الرجال الذين اعرفهم في حياتي عناداً وتصلباً.»

«وهل افهم منك ان هذا الرجل اصدر نوعا من الانذار؟»

«يمكنك ان تقولي ذلك. لديّ موعد مع المحامين غداً وتبدأ بعده بالتأكيد المعاملات القانونية اللازمة لاعلان افلاسي بحكم قضائي.»

وتنهد بحزن وألم وحرك يديه بشكل نصف دائري وهو يقول:

«سيذهب كل شيء... كل شيء.»

خطرت ببالها فكرة شعرت ان تحقيقها ممكن، مع ان الاحتمالات ضعيفة، فسألته بلهفة:

«هل يمكنك ارجاء مقابلة محاميك حتى الأربعاء؟»

ثم اضافت بتوسل:

«يوم واحد لن يقيم الدنيا ويقعدها، أليس كذلك؟»

«ماذا تفكرين يا سالي؟ صدقيني، لقد قرعت كل باب ممكن.»

«لست متأكدة ابدا من انها ستنجح. ولكن لا بأس من المحاولة.»

هز بكتفيه وكأنه يطالبها بعدم اضاعة وقتها. أما سالي فقد تضايقت كثيرا

عندما شاهدت الارهاق واليأس باديين بوضوح في عينيه. وبدا لها في تلك الآونة رجلا متعبا، مكسور الجناح ويزيد عمره عشر سنوات عما هو عليه فعلا. وقفت بسرعة وقالت له وهي تبتسم:

«الان يجب ان تذهب الى الفراش. سأقفل الابواب والنوافذ واطفىء الانوار الخارجية والداخلية.»

وعاد رأسها الى التفكير بخطتها المحتملة. فيليب قد يتمكن من المساعدة. وان لم يتمكن، فما عليها الا مواجهة اندريتي نفسه. وشكرت الظروف لأنه لم يكن عليها الذهاب الى عملها قبل ظهر اليوم التالي

نامت سالي منزعجة وافاقت تشتم المنبه الذي ايقظها. وبدا ان والدها ايضا امضى ليلته بدون نوم او راحة، اذ كانت عيناه متعبتين ومحراوين. وعلى الرغم من اعتراضها واحتجاجها اصرّ على مغادرة البيت قبل الثامنة بقليل بحجة بحث مواضيع هامة مع رئيس العمال في ورشته. وبمجرد خروجه من البيت، اسرعت سالي الى الهاتف وطلبت بعصبية رقم فيليب.

تحوّل سروره لمكالمتها الصباحية الى دهشة واستغراب عندما شرحت له اوضاع والدها ولكن الآمال التي علقتها عليه اضمحلت خلال لحظات. انه حذر جداً، هذا العزيز فيليب! وتبين لها فجأة انها لا تعرفه الا من الجانب الاجتماعي الضيّق. اكد لها انه لا يملك عشر المبلغ الذي طلبت استدانته منه. كل موجوداته مستثمرة بدقة وعناية كي تعطيه دخلا جيداً. اما حصته في رأس المال الكبير الذي يشترك فيه مع والده، فانها تشكل جزءا من ضمانة لا يمكن مسّها. وبدا ان الاسباب التي تعلل بها كانت كلها مدروسة بعناية. وبعد بضع ثوان قالت له وهي تتظاهر بالهدوء وبرودة الاعصاب:

«افهم منك انك لن تتمكن من مساعدتي!»

«سالي... ارجوك! المسألة ليست انني لا اريد مساعدتك! المشكلة هي انني غير قادر على وضع يدي على كمية كبيرة كهذه من المال. ان أبي...»

قاطعته بلهجة عادية جداً:

«... لن يوافق ابداً على ذلك. لا بأس يا فيليب، افهم صعوبة موقفك.»

ارتاح قليلا ثم حاول تشجيعها او بالاحرى التخفيف من انقباضها وتألمها فقال:

«كثير من الشركات الصغيرة تواجه الوضع نفسه يا سالي. وليس بامكانك محاربة الواقع.»

«سأحاول.»

قالتها بتصميم عجيب على مواجهة كافة الاحتمالات، فتوسل اليها بقلق:

«لاتقدمي على اي خطوة متهورة يا سالي. اسمعي! يمكننا بحث الموضوع بطريقة افضل هذه الليلة.»

اوه، حفلة الاوبرا! لقد نسيت تماماً موعدها لتلك الليلة. وشعرت انها لن تتمكن من الذهاب معه او مع غيره وهي على تلك الحالة من العذاب النفسي والانزعاج، فقالت له بتهذيب:

«ان لم يكن لديك مانع، افضل عدم الذهاب. بالي منشغل كثيراً وسأكون رفيقة مزعجة وافسد عليك سهرتك.»

«هراء! السهرة في الخارج سوف...»

«لا، يا فيليب!»

رفضت دعوته بلطف ثم اعتذرت منه بلباقة واصرار على اضطرارها لانهاء مكالمتها الهاتفية لأن عليها اجراء اتصالات اخرى. واقفلت الخط وهي تشعر بصداع قوي وحزن بالغ. عليها الان أن تواجه السيد اندريتي! وحتى لو وافق على استقبالها، فما هي نسبة الأمل في تحقيق شيء ما من تلك المقابلة!

رفعت سماعة الهاتف مرة اخرى، ولكنها هذه المرة طلبت رئيسها في العمل. وعندما اجابها بصوته الناعم والمهذب، ابلغته انها تواجه أزمة عائلية وانها بالتالي مضطرة للتأخر بضع ساعات. انفجر السيد كلود بالفرنسية معاتباً ومتذمراً ثم هدأ قليلا وتابع حديثه بالانكليزية. وعندما وعدته سالي بأنها ستحضر الى العمل بمجرد انتهائها مما ستقوم به، وافق بتردد ورغماً عنه لأن وجودها ضروري للغاية.

كانت الساعة تقارب التاسعة عندما غادرت شقة والدها متوجهة الى مؤسسة اندريتي التي اخذت عنوانها من دليل الهاتف. وصلت بعد قليل الى ناطحة السحاب التي تضم عدة شركات وبحثت عن اسم الشركة في اللوحة الضخمة الموجودة في الطابق الأرضي. اندريتي في الطابق العاشر.

كان باب احد المصاعد على وشك الاغلاق عندما اصبحت على مقربة منه. وعندما مدت يدها لتضغط زر الطلب، فتح الباب فدخلت بسرعة وهي تردد بتهذيب كلمات الشكر والامتنان. ثم... جمدت في مكانها. لا، لا. ذلك مستحيل! الشخص الوحيد الذي كان في المصعد والذي فتح لها الباب بمجرد مشاهدتها وهي تقترب منه، لم يكن الا ذلك الرجل الساخر الكريه الذي ابدل لها عجلة سيارتها بعد ظهر اليوم السابق.

«صباح الخير.»

ردت على تحيته بهزة خفيفة من رأسها. وتمنت ان تكون قادرة على منع ذلك الاحمرار الذي بدأ يغزو خديها بسرعة. تطلع فيها الرجل رافعاً حاجبيه وكأنه يسألها عن الطابق الذي تقصده اذ ان اللوحة المخصصة لذلك كانت قربه.

«العاشــــر.»

كان المصعد منطلقاً بسرعة كبيرة ولكن الثواني القليلة التي يستغرقها وصوله الى وجهته كانت كافية لسالي كي تدرك ارتياحه وتقديره. وتعمدت تجنب النظر اليه او حتى الى المنطقة القريبة منه. وعندما توقف المصعد في الطابق العاشر، فتح الباب تلقائياً وخرجت منه رافعة رأسها بدون ان تلتفت.

ايا كان ذلك الرجل، فانه نجح في اثارة اعصابها. ولاحظت انه بدا الآن اطول مما كانت تتخيله منذ اليوم السابق، كما ان شعره بدا اكثر اسوداداً. وتذكرت عينيه العسليتين ووجهه الجذاب و...أوه، بحق السماء! انها لسخافة كبيرة! فمن الارجح انها لن ترى هذا الرجل مرة اخرى، واكثر من ذلك انها لا تريد رؤيته مرة ثانية.

سارت حتى نهاية الممر الطويل المغطى بأفخم انواع السجاد وقالت لموظفة الاستقبال:

«اسمي سالي باليثغر واريد مقابلة السيد اندريتي.»

«آسفة يا آنسة باليثغر، ولكن السيد اندريتي ليس موجودا في الوقت الحاضر.»

«اذن انتظره حتى يأتي.»

قالتها بهدوء ازعج الموظفة الأنيقة التي ابلغتها بتهذيب ان السيد اندريتي قد لا يتمكن من استقبالها طوال فترة ما قبل الظهر لأنه مرتبط بعدة مواعيد. ثم سألتها:

«هل تريدين موعداً معه... ليوم غد مثلاً؟»

هزت سالي رأسها وقد شعرت بأن قلبها يكاد ينزلق من مكانه خوفاً وتألماً. وقالت للموظفة بثبات واصرار:

«يجب ان اجتمع به اليوم. سأنتظر.»

ردت موظفة الاستقبال على الهاتف وحولت المكالمة الى الشخص المطلوب ثم قالت لسالي:

«انتظري قليلا حتى تنتهي سكرتيرة السيد اندريتي من مكالمتها الهاتفية لكي اسألها ما اذا كان بامكانك مقابلته اليوم.»

هزت سالي رأسها شاكرة، ثم توجهت الى احد المقاعد الوثيرة الموجودة في غرفة الاستقبال واخذت احدى المجلات وجلست تتصفحها. بعد قليل سمعت موظفة الاستقبال تقول لها بشيء من الدهشة:

«آنسة باليثغر، يبدو ان السيد اندريتي سوف يستقبلك هذا الصباح. اذا اتيت معي الآن سأوصلك الى غرفة الانتظار قرب مكتبه.»

مرت ثلاثون دقيقة وتبعتها ثلاثون اخرى، وانتقت سالي مجلة ثانية واخذت تقرأ ابرز الموضوعات التي تهمها. وفي تمام الثانية عشرة ظهرا، وعندما شعرت ان الموظفات نسيتها، فتح الباب واطلت سيدة متوسطة العمر وابلغتها بأن السيد اندريتي سيقابلها الآن.

واخيراً! وقفت سالي وتبعت السكرتيرة القديرة الى غرفة مجاورة. طرقت السكرتيرة باب الغرفة بهدوء ثم فتحته وهي تقول:

«ـسة باليثغر، السيد اندريتي.»

دخلت سالي الغرفة فيما كانت السكرتيرة تخرج وتغلق الباب وراءها. رفعت سالي نظرها نحو الرجل الطويل القامة الذي يقف امام النافذة في الطرف الآخر من الغرفة. وعندما استدار بتمهل لمواجهتها، شهقت بدهشة واستغراب بالغين. انها تعرفه.

٢ - تزوجيني... أنقذه!

«أنت.»

قالتها سالي بصوت متحشرج وهي لا تصدق عينيها. لا، لايمكن! انه بالطبع حلم مزعج.. كابوس! الرجل الذي التقته في المصعد هو الرجل نفسه الذي يملك ويدير هذه المؤسسة المالية العملاقة!

«قد تعتقدين انني امزح... ولكن الجواب نعم. هذا انا!»

وراح يتأملها بنظرات سمرتها في مكانها بعض الوقت. ثم استدار حول مكتبه ووقف امامه ثم اشار اليها بجدية قائلاً:

«أجلسي، ياآنسة بالينغر!»

رفعت رأسها قليلاً نحوه وقالت:

«افضل الوقوف.»

«كما تشائين.»

وهز بكتفيه وكأنه غير مبال بما تشعر به من اشمئزاز وازدراء نحوه. ردت على تحديقه بها بنظرات تحد قاسية لكنها حافظت على رباطة جأشها وتهذيبها، لأن امامها مهمة تريد انجازها.

«اذاً، انت هنا كمبعوثة او مندوبة؟»

«ابي لا يعرف انني هنا. انا التي اتخذت قراراً بمقابلتك.»

«وما هو الهدف الذي تسعين اليه من وراء هذه المقابلة؟»

«انت تعرف سبب وجودي هنا. هل عليّ الركوع امامك؟»

«لم تجيبي بعد عن سؤالي.»

ضغطت سالي كثيراً على نفسها للاحتفاظ بهدوئها ورصانتها والاّ فانها كانت على وشك توجيه صفعة قوية الى ذلك الوجه المتغطرس والقاسي. اختارت كلماتها بدقة وقالت:

«والدي يعاني من مشكلة في القلب. ليس هناك خطر وشيك على حياته، ولكن عليه تفادي الضغوطات والصدمات النفسية اذا اراد لنفسه ان يحيا بضع سنوات اخرى بدون عذاب وألم!»

أشعل سيكارة وأخذ ينفث دخانها ببطء وتمهّل قبل ان ينظر اليها ويقول:

«هل تدركين تماماً اوضاع والدك المالية؟»

«اعرف انه يواجه الافلاس، نعم!»

«وتعتقدين ان بامكاني الحيلولة دون ذلك؟»

صرخت بألم:

«يمكنك منحه مزيداً من الوقت، ان لم تضغط عليه كثيراً فقد يتمكن من ايجاد حل معقول يجنبه الافلاس.»

«تساهلت معه كثير بالنسبة الى مدفوعاته المتأخرة. ومع ذلك فأنت تطالبين الآن بأن اتخلى عن احد المبادىء الأساسية في مسألة الديون والمدفوعات.»

ضايقتها تلك الجملة الى حد كبير فردت بشيء من العصبية:

«كنت آمل في انك قد تكون انساناً بما فيه الكفاية لاظهار قليل من التعاطف والشفقة. ولكن يبدو انني كنت مفرطة في التفاؤل.»

«بعكس ما كنت تأملين وتتمنين يا سالي بالينغر، فأنا لست جمعية خيرية.»

صرخت به غاضبة حزينة:

«اذن لماذا سمحت لي بمقابلتك؟ لم اكن لأتمكن من الوصول الى مكتبك هذا لو لم توافق انت شخصياً على طلبي! فلماذا اذن؟»

نظر اليها ببرود ثم أخذ يتأملها ويتفحصها بدقة وتمهل، الى ان ركّز نظراته بعد لحظات على شفتيها. ازاحت وجهها بعصبية وقد شعرت بانزعاج بالغ وخجل

شديد. ثم سمعته يقول:

«بالأمس تمكنت من اثارة اهتمامي بك. واليوم، عندما دخلت المصعد وطلبت الطابق ذاته الذي يضم مكاتبي...»

توقف لحظة ليطفىء سيكارته بهدوء، ثم تابع حديثه قائلا:

«كان من السهولة بمكان الاتصال بسكرتيرتي ومعرفة ما اذا كانت فتاة شقراء جميلة تدعى سالي باليتغر تنتظرني في غرفة الانتظار الخاصة بمكتبي.»

«كنت تعرف طوال الوقت من اكون؟»

«أخذت رقم سيارتك أمس، وطلبت من احد الموظفين معرفة اسم المالك.»

«من بين كل...»

ولم تجد الكلمات المناسبة لتسأله صراحة لماذا اختارها هي بالذات. فاكتفت بكلمة لماذا التي رددتها بعصبية اكثر من مرة. فاجابها ببرود اعصاب مذهلة:

«كما قلت لك، لقد نجحت في اثارة اهتمامي بك.»

«اؤكد لك انني لم اكن أبداً راغبة في ذلك.»

ضحك بقوة وقد لمعت عيناه ببريق من السخرية اللاذعة، ثم سألها:

«منذ متى تركت مقاعد الدراسة ياصغيرتي؟ منذ عامين، ثلاثة اعوام؟»

ردت عليه بحدة:

«دخلت الثالثة والعشرين قبل بضعة اشهر.»

«أوه، لم اتصوّر انك في مثل هذا السن! لماذا لم تتزوجي بعد؟»

«ربما لأنني انسانة باردة! اضف الى ذلك اني افضل ان اربط نفسي بموقد لا حياة فيه على ان اصبح عبدة لرجل واحد!»

«لايمكن للمرء في هذه الحال الا أن يستنتج بانك شابة بريئة لم تحصل على اي تدريب او ان المدربين هم من الهواة.»

شعرت برعشة خفيفة تهز عظامها. فالواضح ان هذا الرجل ليس من الهواة على الاطلاق بل هو احد كبار المحترفين. وعندما لم تعلّق بشيء على ملاحظته. سألها بمكر:

«هل اخرستك الصدمة؟»

«بالطبع لا. وهل تظن اني خجولة الى هذا الحد او انني ولدت امس؟»

لم يعر قولها اي اهتمام وكأنها لم تقل شيئاً على الاطلاق. بل تأملها لحظة ثم قال لها بنعومة ورقة:

«اريدك ان تتناولي معي العشاء هذه الليلة.»

اسعدها كثيراً ان تواجه نظراته القوية وتهز رأسها رافضة دعوته. هناك بلا شك عشرات النساء يتحرّقن لسماع مثل هذه الدعوة والاستسلام لمشيئته ورغباته مهما كانت صغيرة او تافهة. انها ليست منهن! ولن تكون! رفعت رأسها بشموخ وتحدّ قائلة:

«لن اضيع المزيد من وقتك الثمين ياسيد اندريتي. يجب ان اذهب، فقد تأخرت عن عملي.»

«انك ترفضين؟»

«نعم... مهما كان هذا الجواب مفاجئاً لك! لن اقبل دعوتك حتى ولو... كنت سأموت جوعاً!»

شعرت بارتياح كبير عندما اصبحت خارج الغرفة ثم ابتسمت لسكرتيرته قبل ان تسرع الخطى نحو غرفة الانتظار المجاورة ومنها مباشرة الى المصعد... فالسيارة... فالعمل.

«ها قد عدت!»

رحب بها كلود بابتسامة عريضة لمجرد دخولها المطبخ الضخم. وكان الجميع يعملون بجد ونشاط اعتذرت من رئيسها قائلة:

«آسفة لأنني تأخرت، ولكن لم يكن امامي اي مجال آخر.»

«لا بأس، تدبرنا الأمر!»

ثم تنحنح واضاف بلهجة اكثر جدية:

«لديك عشاء لشخصين هذه الليلة.»

حولت سالي انتباهها بكامله الى عملها وسألت كبير الطهاة:

«وهل قالت لك شيئاً عن قائمة الطعام التي تريدها؟»

«على عكس بقية الطلبات، فان هذا الطلب جاء من رجل وليس من امرأة. اما لائحة الطعام، فأمرها متروك لك ولذوقك. انه لشرف عظيم يا سالي. ان زبائننا عادة يطلبون منا تقديم اراء او مقترحات. ولكن من النادر جداً ان يكون الاختيار بكامله متروك لنا.»

ابتسمت بارتياح وقالت:

«انه بلا شك احد الزبائن المعجبين جداً بعملنا.»

قطب كلود جبينه وقال لها بجدية بالغة:

«لا ياعزيزتي. هذا الطلب يشكل انقلاباً بالنسبة الينا، انه يأتي من رجل اعمال ايطالي ناقد يحظى بمركز رفيع جداً في اوساط الطبقة الراقية.»

«اذن، فلائحة الطعام يجب ان تقتصر على مأكولات ايطالية.»

هز كلود رأسه موافقاً واقترح لها بضعة اصناف معينة. وبعد مداولة قصيرة، تم الاتفاق على القائمة كاملة. وقبل ان تبدأ سالي عملها، قال لها كلود:

«موعد العشاء الثامنة تماماً، واسم الزبون اندريتي... لوشيانو اندريتي.»

«لا اصدق!»

قالتها سالي بذهول وهي لا تصدق ما سمعته اذناها. هل من المعقول انها مجرد مصادفة كما حدث في المرات السابقة؟ نظر اليها كلود بشيء من الغضب وقال:

«ياعزيزتي، الطلب مدون هنا امام عينيّ. اتصلوا بنا هاتفياً قبل عشر دقائق فقط وبما ان اسمك لم يكن مسجلاً في قائمة المهام الخارجية لهذا المساء، قبلت كريستين الحجز وتقرر تسليمك انت هذه المهمة.»

ثم غمزها بخبث وهو يسألها:

«هل أفهم من دهشتك انك تعرفين السيد اندريتي؟»

ردت عليه بقوة جعلته يرفع حاجبيه استغراباً واستفساراً، اذ قالت:

«نعم اعرفه! ولكنه لايعجبني ابداً.»

«انه رجل نافذ جداً. واذا ارتاح الى معاملتنا وخدمتنا نكون قد حققنا انجازاً كبيراً. يجب ان تذهبي بالطبع.»

«افضل كثيراً أن ارفض هذه المهمة.»

«انك ممتازة في عملك يا سالي. ولن ادعك تفسحين المجال امام امور شخصية لتؤثر على حياتك المهنية. انا لو ادرت اعمالي على اساس التعامل فقط مع الذين يعجبونني لأصبحت فقيراً معدماً.»

تنهدت سالي بدورها وهي تهز برأسها علامة الموافقة. كلود على حق، الا ان تفسيره المنطقي والموضوعي لن يساعدها كثيراً في مواجهة اندريتي ذلك المساء. وزاد من انزعاجها قوله وهو يتحول عنها الى امور اخرى:

«بما ان العشاء لشخصين فقط فانك ستهتمين به بمفردك.»

اللعنة عليك يا لوشيانو اندريتي! انه بالتأكيد يتعمد هذه الأمور لأسباب شريرة لا يعرفها سواه! آه لو كان بامكانها عدم الذهاب تلك الليلة!

في السادسة والنصف تماماً، اوقفت سالي السيارة الكبيرة التابعة للمؤسسة التموينية امام قصر اندريتي وبدأت تخرج العربة التي تحتوي جميع الاطباق والصحون الضرورية لحفلة العشاء. وانتبهت فجأة الى انها لم تشعر بمثل هذا التوتر حتى عندما قامت بأول مهمة رئيسية بمفردها. وانعكس هذا التوتر غضباً عندما ضغطت بعصبية على جرس الباب.

اطل رجل قصير القامة في حوالي الخمسين من عمره وابتسم للآنسة الجميلة بتهذيب واحترام منتظراً منها على ما يبدو ان تعرّف عن نفسها. اعطته سالي احدى بطاقاتها الشخصية قائلة بجدية:

«انا من مؤسسة كلود للتموين.»

«آه، نعم. تفضلي! السيد اندريتي بانتظارك.»

ثم هم بمساعدتها لادخال عربة المأكولات. فسألته بتهذيب مماثل: هل بالامكان ان ترشدني الى المطبخ؟»

«بكل سرور يا آنسة. اتبعيني من فضلك!»

سار امامها وهو يدفع العربة بروية وحذر. وراحت سالي تتأمل روعة

البيت من الداخل كما تأملت قبل دقائق جمال هندسته من الخارج. كل شيء فيه يدل على فن رفيع وذوق راق... وغنى فاحش، ولدى وصولها الى المطبخ لاحظت بسرعة انه يحتوي على أحدث الأجهزة الكهربائية والالكترونية.

«كل شيء تحتاجين اليه يا آنستي موجود هنا. واذا تفضلت معي سأريك اين توجد الاشياء الأخرى الخاصة باعداد الطاولة.»

بعدما ألقت نظرة فاحصة على غرفة الطعام، عادت الى المطبخ وبدأت تحضر العشاء، وتمنت لو ان لديها الشجاعة الكافية لاضافة كمية من البهارات الحارة كي يحترق لسان السيد المتغطرس والمتعجرف.

«مساء الخير.»

اللعنة! استدارت سالي نحوه بسرعة وهي تضع يدها على فمها لتمنع نفسها من الصراخ. كانت مستعدة لشتمه أو حتى لصفعه لأنه دخل كاللص بدون صوت او حركة. ولكنها ضبطت اعصابها بصعوبة وردت عليه بنبرة باردة لا حياة فيها:

«مساء الخير.»

بدأ الخادم الكهل حديثاً سريعاً بالايطالية ثم تحول الى الانكليزية متمنياً لهما امسية سارة وليلة سعيدة وغادر المطبخ على عجل. وضحك اندريتي بمكر وقال لها:

«كارلو يقول انه اذا كان طبخك مثل شكلك فانه يحسدني على عشائي سلفاً.»

«لو لم اكن هنا ممثلة المؤسسة كلود، لما تمكنت من مقاومة الاغراء الكبير باطعامك الفطر السام المطبوخ بصلصة الزنجبيل.»

قالتها سالي بسخرية غاضبة. ولكن سخطها بلغ درجة لا تصدق عندما ابتسم بمرح وقال لها مازحاً:

«اشك كثيراً في انك قادرة على ذلك يا سالي بالينغر. انت طبق شهي تضيفين اليه قليلا من التوابل ليصبح الطبق المفضل.»

«لا ترهق نفسك وتضيع وقتك باطرائي. حاول ان تمارس هذا الذي تتصوره سحراً وجاذبية على تعيسة الحظ التي ستشاركك العشاء. انا مجرد انسانة تقوم بعملها

لقاء اجر من مؤسستها. وبصراحة يا سيد انت لاتثير اهتمامي على الاطلاق.»

«يا سيد! افضل كثيراً ان تناديني لوشيانو او كما اعرف هنا بين اصدقائي... لوك.»

ردت عليه بجفاف متجاهلة وجوده تماماً:

«انا هنا لأعمل لا لأجري احاديث. واتصور ايضا انك لا تريدني ان اتأخر بتقديم العشاء.»

ضحك بصوت عال وساخر مما زاد في غضبها وانزعاجها منه. شدت قبضتها بعنف وكره فيما كان يغلق الباب وراءه، وتمنت لو كان بامكانها حرق الطعام وتحطيم الأطباق والصحون. ركزت اهتمامها على عملها علها تخفف قليلا من ضيقها وانقباضها، ولم تتذكر ضيفة لوك اندريتي الا عندما خرجت الى قاعة الطعام. انها بلا شك جالسة معه في قاعة الجلوس تتبادل واياه الاحاديث الشيقة والمثيرة.

بدت الطاولة المستطيلة التي تستوعب اثني عشر شخصاً طويلة جداً لكي يجلس اليها شخصان فقط لذلك اختارت سالي منتصف المسافة بين الطرفين لاجلاس صاحب الدعوة وضيفته. اعدت المائدة بشكل تام بما في ذلك الشموع والأزهار. الثامنة الا دقيقتين. اضاءت الشموع وراحت تتأمل باعجاب تلك المائدة الرائعة والترتيبات الجميلة، ثم عادت الى المطبخ. تطلعت الى ساعة يدها... الثامنة تماماً. هل عليها ان تسأله عما اذا كان يريد تأخير العشاء بعض الشيء؟ كانت على وشك التوجه نحو غرفة الجلوس لاستشارته عندما فتح الباب ودخل سيد القصر الى المطبخ.

كان يبدو مختلفاً واكثرجاذبية واغراء. استبدل بذلته التي توحي بالجدية والنفوذ بسروال بني عادي وقميص حريري مناسب يكشف عن صدر قوي وكتفين عريضتين. تعمدت سالي ابعاد نظرها عنه وقالت:

«اذا كانت ضيفتك ستتأخر، يمكنني ارجاء تقديم الطعام ثلث ساعة.»

«ضيفتي موجودة هنا منذ بعض الوقت.»

«في هذه الحال، سأبدأ بالمقبلات.»

هز رأسه موافقاً ثم غادر المطبخ متجهاً نحو غرفة الطعام. لحقت به وهي تحمل طبق المقبلات. ولكنها وقفت بدهشة في منتصف الغرفة عندما لاحظت ان اندريتي وحده موجود هناك. سحب كرسياً وقال لها بلهجة تجمع بين الجد والمزاح:

«اجلسي، يا سالي بالينفرا»

وضعت الطبق على الطاولة وقد بلغ بها الغضب حداً كادت معه أن ترمي المحتويات في وجهه، وقالت له بحدة:

«ان كانت هذه احدى نكاتك فانها سخيفة للغاية.»

ثم سألته ببروده قبل ان يتمكن من التعليق على جملتها القاسية:

«لماذا؟ من الواضح جداً انني لاأستسيغك على الاطلاق فلماذا هذا التصرّف معي؟ ماذا تريد مني بالضبط؟»

ولمعت عيناها غضباً وهي تتابع حديثها بدون تردد:

«لا يمكنني ان اصدق انك تهدف فقط لدعوتي الى العشاء. فأنا لست ساذجة او سهلة الانقياد الى هذا الحد»

«أجلسي! فمن السخافة افساد هذا العشاء الرائع الذي عملت ساعات لاعداده.»

شعرت سالي بأن غضبها على وشك الانفجار ولكنها ضبطت اعصابها قليلاً وقالت له:

«تناول العشاء بمفردك يا سيد اندريتي. ما من شيء يقنعني بالبقاء معك.»

مشى نحوها بخطوات ثابتة وهو ينظر اليها بعينين قاسيتين وقال لها محذراً بجدية بالغة:

«ربما كنت تفضلين ان اقدم شكوى الى مؤسستك.»

«احضرتني الى هنا بادعاء كاذب، وانتصوّر انك تظن نفسك ذكياً جداً عندما حوّلت رفضي دعوتك الى العشاء الى قبول اجباري. اعذرني ياسيد لشجبي اسلوبك الشرير والرخيص!»

رد عليها لوك اندريتي بغضب:

«ان لم تجلسي، فانني سأفقد بالتأكيد ما تبقى لدي من صبر.»

اقرت بهزيمتها وجلست الى المائدة العامرة بحزن وأسى.

«ماذا تشربين؟»

«لاشيء.»

كان العشاء من حيث تبادل الأحاديث كارثة. فقد قررت سالي منذ لحظة جلوسها ان تواجهه بصمت مطبق كي تغيظه الى ابعد حدّ ممكن ولكنه لم يدعها تشعر بلذة الانتقام، اذ انه لم يتفوه بكلمة واحدة طوال فترة العشاء. وعندما ذهبت الى المطبخ لاعداد القهوة كان سخطها قد بلغ حداً لم تشعر بمثله مرة في حياتها. لماذا لم يتكلم كي تتمكن من رد بعض سهامه بصمت يزعجه ويثير غضبه؟ كانت تريد ان تقلل من اهمية انتصاره، ولكنه لم يفسح لها المجال وظل انتصاره كاملاً... ومؤلماً. ألهت نفسها بوضع الاطباق والصحون في الجلاّية وباعداد ما يلزم لشرب القهوة.

عندما عادت الى غرفة الطعام ومعها القهوة، وقف لوك اندريتي بهدوء واخذ الصينية من يديها الباردتين وهو يقول:

«سنشرب القهوة في غرفة الجلوس.»

سارت وراءه بانزعاج بالغ وهي تشتم الظروف التي جمعتها برجل كهذا. وصلا الى الغرفة الفسيحة فزاد انزعاجها وانقباضها. الاضاءة خفيفة... والانغام الحالمة تنساب بهدوء من عدة مكبرات للصوت موزعة في انحاء مختلفة ومخفية عن الانظار. المسرح معد بعناية للمغازلة والاغراء، والممثلان موجودان! ولكنه سيصاب بخيبة امل كبيرة! سترد له الكيل كيلين! انتصر عليها عندما ارغمها بالطرق الملتوية وغير المباشرة على تناول العشاء معه، ولكنها ستنتصر عليه برفض اغراءاته بقساوة وعنف بالغين!

اخذت منه فنجان القهوة بيد مرتجفة واختارت مقعداً منفرداً في اقصى الغرفة. شربت قهوتها المرّة بسرعة ثم وقفت. فسألها بدون ان يتحرك من مكانه:

«هل انت مستعجلة الى هذا الحد؟»

اخذت نفساً عميقاً في محاولة جاهدة لتجنب الغضب والخوف اللذين سيطرا عليها، وردت عليه بهدوء مصطنع:

«نفذت المهمة الموكلة اليّ ولم يعد هناك اي سبب لبقائي.»

«وحتى ان طلعت عليك بسبب ما؟»

«ماذا تتوقع مني أن افعل؟ ان اعرض لك نفسي مقابل مساعدتك لوالدي. لن انزل الى هذا المستوى ابدا... وبخاصة مع شخص حقير مثلك. ماذا ستفعل الآن؟ هل ستستخدم بعض الأساليب الاجرامية الملتوية لحرمان والدي من أموال لا يملكها؟ ان تقسو عليه جسدياً؟ ان تكسر له بعض عظامه؟ ان تدفعه الى القبر بسرعة عن طريق ارهابه؟»

وقف اندريتي بهدوء غريب وكانت عيناه تشعان ببريق من الغضب الحا شعرت معه بخوف حقيقي. ثم قال جملة بالايطالية وتابع بالانكليزية:

«لم تلده امه بعد الرجل الذي اسمح له باهانتي على هذا الشكل! يجب ان تشكري جميع القديسين لأنك امرأة... والا كنت سأرسلك الى حافة القبر الذي تحدثت عنه قبل لحظات!»

تراجعت خطوتين الى الوراء وقالت له بلهجة عنيفة:

«لو تجرأت بوضع يدك علي لصرخت بأعلى صوتي!»

ضحك بملء فيه وسألها بتهكم:

«ومن سيسمعك ياصغيرتي؟»

ازداد خوفها وتطلعت حولها بسرعة علّها تجد شيئاً تستخدمه كسلاح للدفاع عن نفسها اذا حاول مهاجمتها. ثم نظرت نحو الباب لتقدر المسافة التي تفصلها عنه والمدة التي ستحتاجها عندما تضطر للركض نحوه. لاحظ اندريتي ذلك فقال لها بصوت خافت:

«لن تتمكني من الوصول الى الباب قبلي.»

ثم صرخ:

«رباه! ليس من الحق اتهام انسان بالتعامل مع عصابات الاجرام لمجرد انه من هذا الأصل او ذاك!»

واتسعت عيناه وقست نظراته الى درجة مخيفة ثم سألها بحدة:

«الى اي مدى يصل تقييمك لراحة بال والدك يا سالي باليتغر؟»

بلعت ريقها بصعوبة وألم وسألته باستغراب:

«ماذا تعني بذلك؟»

لم يحد نظره عن وجهها ولكن صوته اصبح اكثر هدوءاً ورقة عندما اجابها:

«اريد ابناً! فليس من المعقول او العدل ان اكافح بجد ومثابرة طوال حياتي ولا يرثني ابن من لحمي ودمي!»

ثم تأملها باعجاب من رأسها حتى اخمص قدميها وتابع قائلا للفتاة الواقفة امامه بذهول ودهشة:

«انك شابة جميلة يا سالي باليتغر، وانا اميل لجعلك زوجة لي. هذا هو الثمن الذي يجب ان تدفعيه ان كنت ترغبين في اعادة اوضاع والدك المالية الى حالتها الطبيعية.»

انه كابوس مزعج وليس حقيقة واقعة! لا، انه يقف امامها وينتظر الجواب. رددت كلمة زوجة كالصدى:

«زوجة؟»

ثم اضافت باشمئزاز وكأن حية سامة لسعتها:

«الزواج منك كالزواج من الشيطان نفسه!»

رفع احد حاجبيه مستفسراً ومستغرباً، ثم قال:

«هل تعتقدين ذلك؟ في اي حال، هذا ليس جواباً على سؤالي.»

تأملته طويلا ثم سألته بهدوء وروية:

«وكيف يمكنني أن أتأكد من انك ستفي بوعدك وتعهدك؟»

«هل لديك خيار آخر؟»

مرت دقيقة كاملة والصمت يخيم عليهما. ثم تنهدت طويلا وقالت:

«يجب ان افكر بالموضوع.»

«حسناً! لديك خمس دقائق!»

«انك كريم للغاية! عليّ الاختيار بين عذابين احلاهما مرّ وتتوقع مني الجواب خلال خمس دقائق فقط! انك لست قاسياً فحسب، بل غير انساني ايضاً!»

تطلع لوك اندريتي بساعة يده وقال لها بهدوء:

«بقيت لديك اربع دقائق وعشرون ثانية!»

«وماذا تأمل من زواج كهذا محكوم عليه مسبقا بالفشل والخراب؟»

«ولكني انا الشيطان نفسه. أليس كذلك؟ هذا ما وصفتني انت به. وبالتالي، فاني لن اشعر بالارتياح في هذا الجحيم الذي تعتبرينه مكاني الطبيعي.»

«ولكنك ستفرض علي الجحيم ذاته!»

«ولكن الزواج مني قد لا يكون جحيا كما تتصورين.»

«اني اكرهك!»

«هذا افضل من الادعاء كذبا بأنك تحبينني.»

«ساحاربك يا لوك اندريتي! في كل خطوة تخطوها وكل دقيقة تعيشها سوف تصلك بركاناً هائجاً وقنابل موقوتة! اعدك بذلك!»

٣ ـ مصادفة في المرقص

كان اليوم التالي مليئاً بالمشاكل المتعددة، اولها استياء كلود الشديد لاضطراره قبول انذار بالاستقالة لا تتجاوز مدته يومين. الا انه هدأ بعد ساعات قليلة واعرب لها عن تهانيه الحارة وتمنياته المخلصة، محذراً اياها من مغبة تسليط قلبها وعواطفها علي عقلها وتفكيرها.

«انه رجل غير صبور على الاطلاق. هذا الخطيب الايطالي! ألا يمكنه الانتظار بضعة اسابيع؟ رباه! اسبوع واحد على الأقل يساعدني قليلا على اعداد بديل لك!»

تظاهرت بهدوء بعيد عن اعصابها كل البعد وقالت له محاولة تبرير قرارها:

«لقد تم اعداد كل شيء يا كلود. لوك اندريتي رجل يصعب جداً اقناعه بتغيير رأيه.»

تضاربت افكاره ومشاعره بين القبول بالأمر الواقع او متابعة الاحتجاج الذي لا أمل منه. ثم هز برأسه وقال وهو يتصفح لائحة الطلبات المقبلة:

«اوه، حسناً: سافترض انك مريضة لاسمح الله. ألن نكون عندئذ مضطرين لايجاد البديل؟»

ثم ابتسم واضاف مازحاً:

«هل تعرفين انك اصطدت سمكة كبيرة يا سالي؟»

لم تضحك او تبتسم كما توقع رئيسها، ولكنها اكدت له بلهجة جافة تقريباً:

«انا لم ارم الطعم يا كلود!»

اعتذر منها بتهذيب قائلا انه لم يقصد شيئا. ثم ابتسم مرة اخرى وقال لها برقة وحنان:

«سأتولى انا اعداد كعكة الزواج... كهدية مني، طبعا!»

تأثرت لبادرته الطيبة وقالت له بهدوء:

«شكرا جزيلا يا كلود! انك رجل طيب جداً!»

لم يرد كلود ان تشعر مساعدته المخلصة بأي امتنان لهذه البادرة البسيطة التي لاتعبر الا جزئياً عما يكنّه لها من مودة واحترام وتقدير. فسارع الى تغيير الموضوع وحوّل الحديث الى المهام التي عليها القيام بها خلال اليومين الاخيرين لوجودها في مؤسسته. ووجدت سالي نفسها امام مجموعة كبيرة ومرهقة من الأعمال التي يجب تنفيذها خلال الساعات المتبقية من ذلك اليوم وطوال اليوم التالي.

لم يكن امامها مجال للتفكير بشيء، وقد اعجبها ذلك على الرغم مما يعنيه من تعب وارهاق. اذ انها كانت تشعر بطريقة شبه مؤكدة أنها على وشك الذهاب الى لوك اندريتي قائلة له بأن يذهب الى الجحيم... بغض النظر عن النتائج والمضاعفات.

عند الحادية عشرة، كانت مؤسسة كلود كقفير نحل يضج حركة ونشاطا. وعندما تبين بعد نصف ساعة ان اثنين من المساعدين في المطبخ لم يحضرا بسبب المرض، تضاعفت المهام الملقاة على عاتق الموظفين الموجودين. تمنت سالي ان تكون شخصين او ثلاثة للتعويض عن النقص الحاصل. وبخاصة لأنها على وشك الاستقالة من عملها. ثم سمعت كلود يناديها بعصبية وهو يوجه تعليمات جديدة:

«سالي، اني مضطر لأن اوكل اليك مهمة خدمة الزبائن تساعدك في ذلك صوفي وماري، مع ان الاخيرة حديثة العهد جداً في خدمة الزبائن. جورج سوف يساعدني هنا في المطبخ.»

كانت المناسبة حفلة غداء يقيمها رجل اعمال تكريماً لشخصية زائرة. وكان عدد

المدعوين ثلاثين شخصاً. ثلاث ساعات او أكثر من الحركة الدائبة والانتباه الكلي. الخطأ غير مسموح به! يجب أن يتذكر الجميع، وعلى رأسهم كلود، انها ظلت تعمل باخلاص ونشاط حتى اللحظة الأخيرة! وفجأة، كادت الاطباق تقع من يديها! اللعنة! وشتمت بصمت حظها السيء... انه هنا مع اربعة آخرين يتحدثون ويضحكون! وارتاحت قليلا عندما لاحظت ان صوفي اصبحت قربهم وبدأت تقدم لهم بعض المقبلات. الا ان المواجهة كان لا بدّ ان تحدث! فعندما انتقل الضيوف من قاعة الاستقبال الى قاعة الطعام، جلس لوك الى احدى طاولاتها. وبالتالي... لم يعد بامكانها تجنّبه، بل اصبحت مضطرة ايضاً لخدمته!

حيّاها بابتسامة رقيقة ومهذبة لفتت انظار اكثر من شخص قربه. وطوال فترة الغداء، ظلت سالي تشعر بنظراته تلاحقها كيفما تحركت ومهما فعلت. ازعجتها تلك النظرات كثيراً واحست بأن اصابعها تشد بعنف على الاطباق والصحون وتكاد تكسرها. ومع انها تمالكت اعصابها وحافظت على رباطة جأشها، الا انها كانت تتمنى مرور الوقت بسرعة كبيرة... غضبت من نفسها كثيراً لأنها كانت تشعر كسمكة علقت بشباك صياد قاس على وشك سحبها الى اليابسة. ولكن، أليست هذه هي الحقيقة المرة؟

لم تساعدها ماري كثيراً عندما قالت لها انها تحسدها على وجود مثل هذا الرجل الجذاب ضمن المجموعة التي تتولى خدمتها. واضافت ماري بحماسة ظاهرة:

«انا اعشق الرجل اللاتيني! ألا تشعرين مثلي نحو هذا النوع من الرجال؟ انه بالتأكيد لاتيني! اسمر، جذاب، يضج حياة... ولكن، لايمكن التكهن بما اذا كانت هذه الخصائص ستتمخض عاطفة وغراماً أو عصبية وحدّة!»

ثم ضحكت وتابعت تكهناتها:

«في الحقيقة، اعتقد انه يبدو خطراً الى حدّ ما!»

ردت عليها سالي بسخرية مكبوتة قائلة:

«ان جسمي يرتجف ويرتعش كلما تطلعت نحوه!»

توقفت ماري لحظة عن وضع الملاعق والسكاكين في صحون الغداء الفارغة وقالت:

«اني اراقبه منذ بعض الوقت واعتقد، ان كان ذلك يهمك، انه يبدي اهتماماً بك.»

«يمكنه تحويل انظاره عني، فأنا غير مهتمة!»

قالتها سالي بغضب لامبرر له مما ادهش الفتاة الأخرى وحملها على السؤال بقلق ظاهر:

«انه لا يعجبك؟»

ردت عليها سالي بجفاف وهي تضع صحنين كبيرين من يديها على الطاولة الكبيرة امامها:

«ليس لدي وقت كاف لأكوّن رأيا او فكرة عن هذا الرجل او ذاك.»

انقضت الساعات التالية بسرعة لا تصدق، ولاحظت سالي ان الساعة تجاوزت السادسة عندما وصلت الى شقتها. كانت متعبة جداً، وزاد الحر الشديد من انزعاجها وتضايقها. خلال ساعة واحدة سيصل لوك اندريتي! عليها ان تستحم، وتجهز عشاء والدها، وتعد نفسها، ثم تحاول شرح خطوتها المقبلة... زواجها من لوك!

وما ان اقفلت الباب وراءها ودخلت الى القاعة الرئيسية حتى سمعت صوت والدها يعلو بغضب واضح. وقفت مذهولة لا تعرف ماذا تفعل. اذ من النادر جداً ان تسمعه يصرخ بهذا الشكل، وبخاصة عليها. الا انها انتبهت بعد لحظة انه على ما يبدو لم يشعر بدخولها، وبالتالي فانه بلا شك يخوض معركة كلامية حامية مع شخص ما عن طريق الهاتف.

«مرحبا يا أبي! وصلت كبيرة الطهاة!»

قالتها بصوت عال ولهجة مرحة فانخفض صوت والدها على الفور. توجهت سالي على اثر ذلك الى غرفة الطعام والقت نظرة على اللوح الذي تعلق عليه الرسائل الواردة فلم تجد بينها شيئا لها. الا انها وجدت ثلاث ملاحظات خطية من والدها يخبرها في كل منها ان فيليب حاول الاتصال بها ولم يجدها فطلب ان تتصل به فور عودتها. ذهبت الى المطبخ متسائلة عن سبب هذه الاتصالات.

فتحت الثلاجة واخرجت منها ابريقا كبيراً من عصير الفاكهة ثم بدأت تشرب بتمهل وهي تحاول التكهن بما سيقوله لها فيليب عندما يتصل للمرة الرابعة. دخل جو المطبخ فابتسم وقال:

«كنت اتوقعك ان تتأخري اكثر من ذلك.»

تأملت وجهه ملياً علّها ترى شيئاً في ملامحه يكشف سبب غضبه وانقباضه. ولكن وجهه كان يبدو طبيعياً الى حد بعيد. تنهدت ثم عبست قليلا وقالت:

«حفل الغداء كان ناجحاً جداً. اما الوضع وراء الستار فكان فاشلا لا بل مهزلة. أديل لم تحضر اليوم، وسبيروس اتصل في اللحظة الأخيرة ليعتذر عن الحضور. وكان على ابنتك الكريمة ان تعمل كمساعدة طاه وخادمة في الوقت ذاته.»

ردّ عليها والدها بتعاطف قائلاً:

«هذا فعلا صعب للغاية! في اي حال، توجد بعض شرائح اللحم التي يمكن قليها، كما توجد بعض انواع الخضار الطازجة. الطقس حار لدرجة يشعر معها المرء بعدم الرغبة في تناول الطعام.»

رأت سالي ان هذه هي افضل مناسبة لابلاغه عزمها على الخروج مع لوك، فقالت:

«سوف اتعشى الليلة خارج البيت انك لا تمانع، أليس كذلك؟»

«طبعا لا! هل انت على موعد مع فيليب؟ اتصل ثلاث مرات. انه بلا شك شاب متحمس، ويبدو انه يريد التأكد من الموعد.»

«موعدي ليس مع فيليب، يا ابي!»

وشعرت بغصة لأنها لم تتمكن من ابلاغه الحقيقة كاملة. ولكنها سارعت الى القول:

«اسمع يا ابي! عليّ الاسراع في اعداد نفسي للسهرة كيلا اتأخر. سآخذ حماماً بارداً الآن ثم تلاقيني الى المطبخ حيث اعدّ لك العشاء واخبرك بجميع التفاصيل. اتفقنا؟»

ابتسمت وقبلته على جبينه واسرعت نحو الحمام قبل ان تسنح له الفرصة

بالسؤال او التعليق. وبعد بضع دقائق، خرجت سالي من الحمام وارتدت ثيابا عادية جداً وتوجهت الى المطبخ يسيطر عليها شعور من الانقباض والانزعاج الشديدين.

ابتسم لها والدها وقال مازحاً وهو يقلّب شريحة اللحم:

«اني اتعدى على حق الطاهية الكبيرة، ولكني تصورت ان اعداد العشاء بنفسي يوفر عليك بعض الوقت و...»

رنّ جرس الهاتف فذهب الوالد الى غرفة الاستقبال، ثم ناداها قائلا:

«فيليب يريد التحدث معك.»

«سأحدثه من غرفة المكتبة.»

اغلقت الباب وراءها بعناية ثم رفعت الهاتف، وقبل ان تتمكن من التفوه بشيء، سمعت فيليب يقول بلهفة:

«سالي؟ قلقت عليك كثيراً! لماذا لم تردي على مكالماتي المتكررة؟»

«لم يمض على وجودي في البيت سوى فترة قصيرة جداً. كنت انوي الاتصال بك بمجرد الانتهاء من اعداد العشاء.»

«ماذا فعلت امس بالنسبة الى الموضوع الذي تحدثنا عنه؟»

سألها بصوت شبه مختنق يدل على عصبية مكبوتة. فأجابته سالي بلهجة مشجعة:

«حلّت المشكلة يافيليب.»

«ماذا تعنين؟ هل تمكنت من تأمين بعض المال؟»

ردت عليه بهدوء وهي تحاول جاهدة تجنب الموجة العارمة من الاسئلة التي لا بد وان تلي ذلك:

«نعم.»

«كل المبلغ؟»

«نعم.»

«هذا امر.. يصعب تصديقه! كيف؟»

«اعتقد ان هذا ليس من شأنك على الاطلاق.»

قالتها بهدوء بالغ أذهله وحمله على التفوه بكلمات غير واضحة، قبل ان يتنهد بقوة ويقول لها بلهجة جديدة:

«سأحضر حالاً ونتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل.»

جاء جوابها سريعاً وقاسياً:

«لاحاجة لذلك على الاطلاق، يا فيليب! اضف الى ذلك، اني وعدت شخصاً بتناول العشاء معه هذه الليلة.»

خيّم الصمت بعض ثوان قال على اثرها فيليب بصوت متهدج تقريبا:

«سنتان يا سالي؟ سنتان! وتتمكنين من التحول عني بمثل هذه البساطة؟!»

مسكين فيليب! انه يعتقد انها كانت تحبه! تنهدت سالي وقالت له بهدوء ملحوظ بعد ان اختارت كلمات جوابها بعناية فائقة:

«رجوتك، بل توسلت اليك كي تساعدني يا فيليب، فلم تفعل شيئاً سوى تقديم قائمة طويلة من الاسباب والاعذار لتبرير رفضك. لم يبق امامي اي خيار الا مناشدة الرجل الذي اعتبرته الملاذ الأخير.»

«سأحضر للتحدث معك... الان!»

«لا! لن يسر اي منا بنتيجة اللقاء! وكذلك، فلا داع لازعاج والدي بدون مبرر.»

«رباه! سالي! عامان... عامان وأنا ادعوك الى ارقى الاماكن وافضلها ولم انل شيئا في المقابل سوى قبلات قليلة باردة!»

ثم صرخ بصوت عال اخترق اذنها كالسهم الخارق:

«انها حقيقة معروفة ان والدك غارق في الديون مع مؤسسة اندريني... هل بعت نفسك اليه؟ سالي، بحق السماء...»

شعرت بالغثيان فأقفلت الخط بسرعة وعصبية واخذت تهز رأسها بحزن وأسى. كيف ستتمكن من مواجهة والدها بالحقيقة المرة؟ كيف ستخبره؟ كيف ستبتسم؟ وكيف سيكون وقع النبأ على والدها المسكين؟ خرجت من المكتبة وتوجهت الى غرفة الطعام، فشاهدت والدها جالساً الى المائدة وقد بدأ بتناول طعامه. اخذت كوب العصير ورفعته كأنها تبادل الانخاب مع نفسها، وقالت:

«ذهب فيليب... واتى لوك.»

«لوك؟»

«لوشيانو اندرتي.»

قالت الاسم الكامل بلهجة جادة واخذت تتأمل والدها وقسمات وجهه التي بدأت تعكس بسرعة هائلة مشاعر متضاربة ومختلفة. دهشة... صدمة... ذهول... واخيراً قلق واهتمام بالغ. وسألها بحزن وتأثر:

«ماذا فعلت يا ابنتي؟»

«لوك وأنا قررنا الزواج.»

لم يصدق اذنيه فبدأ يغمغم ويتكلم بسرعة وبغير وضوح. ثم هدأ قليلا وقال لها بصوت أجش:

«سالي، اصرّ على معرفة...»

وتوقف عن اكمال جملته لدى سماعه جرس الباب. فاغتنمت سالي الفرصة وهرعت نحو المدخل. فتحت الباب لتجد لوك واقفاً كالطود الشامخ يبتسم ويهز برأسه محيياً. وفي تلك الآونة احست بأن والدها يقترب من المدخل لاهثاً. كانت لحظة جنون حقيقي، وجاء رد فعلها مناسباً ومؤاتياً اذ رحبت بالضيف الطويل القامة قائلة:

«اهلا حبيبي؟ انك مبكر قليلا. أليس كذلك؟»

ثم رفعت نفسها وطوقته بذراعيها... لوك لم يدهش او يتردد لحظة واحدة. ألم تكن فكرته هو بأن يتصرفا كعاشقين كيلا يظن والدها بأنها تتزوج لوك لانقاذه من ورطته المالية؟ طوقها بذراعيه القويتين وعانقها بطريقة توحي بأنها فعلاً عاشقان. دخل لوك وقال لوالدها فيما كان يقفل الباب وراءه:

«اعتقد اننا مدينان لك بايضاح فوري ومفصل.»

احست سالي بشعور غريب يتفاعل بسرعة مذهلة، وكأن الغرفة ومن فيها جزء من كابوس مزعج لا بد ان ينتهي قريباً. ولاحظت بكثير من الدهشة والاستغراب انها لم تقاوم او حتى تمانع عندما لف خصرها بذراعه وهما يسيران نحو غرفة الاستقبال، وسمعت نفسها تتمتم قائلة:

«حاولت اطلاعه...»

قاطعها بلهجة هادئة وصوت حالم:

«انا متأكد من ذلك ياصغيرتي. ولكن بما انني الآن هنا، فسوف اطلعه بنفسي.»

احنى رأسه قليلا وقبلها على جبينها بحنان ثم نظر الى والدها مبتسماً وقال مازحاً:

«يجب ان اعترف لك بصراحة انني شخصياً اشعر بشيء من الارتباك والذهول نتيجة للسرعة التي اتخذنا بها قرارنا.»

اعترفت سالي لنفسها بصمت وبسرعة انه كان مقنعاً الى حد كبير. ولاحظت انه تمكن بكلمات قليلة ومخلصة على ما يبدو من ازالة معظم مخاوف والدها وشكوكه. ثم سمعته يأمرها برقة وتهذيب قائلا:

«والآن ياعصفورتي، اذهبي وارتدي ثياب السهرة فيما اتحدث انا مع والدك.»

لم تنتظر سالي ثانية واحدة بل توجهت الى غرفتها هاربة مما قيل او سيقال بين الرجلين. ولم تستفق من كابوسها المزعج الا بعدما وصلت الى غرفة نومها واغلقت الباب وراءها ورمت بنفسها على السرير وهي تدفن رأسها بين الوسادتين الناعمتين. ماذا فعلت؟ كيف ارغمت نفسها على عناقه لدى وصوله؟ و... مضت الدقائق متكاسلة متثاقلة و سالي مستلقية على سريرها تفكر في هذا التصرف او ذاك، وفي هذه الجملة او تلك. هل مضت خمس دقائق او عشر او ثلاثون دقيقة؟ وسمعت طرقة خفيفة على الباب فقامت من السرير وقالت وهي تتظاهر بالسرور:

«اخير لوك انني لن اتأخر. سوف...»

توقفت عن متابعة جملتها عندما سمعت صوت الباب وهو يفتح. فاستدارت بسرعة نحو الجانب الآخر للغرفة ثم سمعت صوت اغلاق الباب. ارتاحت كثيراً ولكن لبضع ثوان. فقد شعرت بيدين قويتين تمسكان بكتفيها وتديرانها نحو الباب، وسمعت لوك يشتم بصوت هادئ:

«اللعنة! ماذا حدث بينكما قبل وصولي؟»

ردت عليه بصوت مرتعش، اذ ان وجوده المفاجىء هكذا داخل غرفتها ارعبها وافزعها:

«لا شيء. كنت اتوقع ردة فعل غاضباً من أبي، الا انك وصلت وتوقفنا عن متابعة الحديث.»

ثم رفعت رأسها بانزعاج وقالت له محتجة ومعترضة:

«لا يمكنك ان تدخل غرفة نومي هكذا!»

«اذا كان وجودي هنا يقلق احساساتك ومشاعرك، فسأفتح الباب بمجرد ارتدائك ثياب السهرة.»

ارتفع حاجباها استغرابا وكأنها لا تصدق ماتسمع، وقالت غاضبة:

«اني ارفض ان تكون هنا عندما ابدل ثيابي.»

«لماذا؟ انت لست عارية تحت هذه الثياب الحريرية! وانا متأكد من ان ثيابك الداخلية تغطيك بما فيه الكفاية.. قطعاً اكثر من ثياب البحر الضيقة التي سعدت بمشاهدتها في اللقاء الأول!»

«اغرب عن وجهي!»

قالتها بعصبية بالغة وصوت اقرب الى الهمس منه الى النبرة العادية. ضحك لوك وقال لها:

«بدلي ثيابك حالا يا سالي، والا اضطررت لمساعدتك بنفسي.»

ثم سار نحو خزانة الملابس وفتح بابها على مصراعيه وراح يتأمل ثيابها المعلقة بترتيب وتنظيم ظاهرين. وبعد بضع لحظات سحب عباءة حريرية زرقاء ومد يده نحوها قائلا بلهجة الآمر الذي لا يقبل اعتراضاً:

«ارتدي هذه! انها تناسب عينيك!»

واجهته بنظرة تحد وتمرد فيما كانت دموع الاستياء والانقباض تملأ عينيها. ولما اقترب منها قليلا، اخذت العباءة من يده بسرعة وغضب وهي تشعر بأنها تكره هذا الرجل المتغطرس والفظ. وقالت له:

«انك متوحش! وذو اخلاق منحطة ايضا!»

خلعت ثيابها بسرعة فائقة بعد ان ادارت له ظهرها ثم ادخلت رأسها في العباءة وشدتها بحدة وعصبية. ولما مدت يديها لتزرير العباءة من الخلف شعرت بأنه سبقها الى ذلك. فاطلقت تنهيدة غاضبة وساخطة. حذرها لوك بهدوء قائلا:

«مهلاً ياصغيرتي، مهلاً! تذكري ان عليك النزول الآن وانت تتظاهرين بالسرور والبهجة، والا فان عناقنا الذي اجدنا تمثيله الى درجة الاقناع سيذهب سدى.»

عرفت سالي ان لوك محق فيما يقوله، لكن تلك المعرفة لم تخفف شيئاً من سخطها الحاد. اعدت نفسها بسرعة فيما كان الصمت مخيماً عليهما بصورة تامة. ثم نظرت اليه بتحد قائلة:

«اني مستعدة.»

«لايمكن لأي انسان يراك الآن او يتصور ان يصدق انك توصلت الى مثل هذه النتيجة الرائعة خلال اقل من عشر دقائق! ستتمنى لوالدك ليلة سعيدة ثم نذهب.»

قست ملامحه قليلا عندما انتبه الى الرعشة الخافتة على شفتيها فقال بلهجة تجمع بين الأمر والرقة، بينما كان يأخذ ذراعها ويفتح الباب:

«يمكنك اللجوء الى عصبية النساء وتصرفاتهن العاطفية عندما نصبح في الخارج، بمأمن من سمع والدك وبصره. الآن، ابتسمي!»

تمكنت سالي بعد لحظات معدودة من السيطرة على مشاعرها وضبط اعصابها. وعندما دخلا قاعة الاستقبال كانت ابتسامتها تبدو حقيقية ونابعة من قلب عاشق وعاطفة عارمة. وتأملت بصمت! انها تستحق جائزة كبرى للتمثيل! العين تضحك والقلب يبكي! اقتربت من والدها وقبلته على جبينه ثم قالت:

«تصبح على خير يا ابي. ايقظني قبل ذهابك الى العمل غداً صباحاً. سوف نتناول فطوراً لذيذاً ونتحدث.»

سمعت لوك يتمتم شيئاً لوالدها قبل ان يبدأ وإياها الخروج من المنزل.. وقفت قرب سيارته الفخمة صامتة بينما كان هو يفتح الباب ثم يغلقه بعد ان تأكد من جلوسها بسلام وراحة. دخل السيارة بدوره ولكنه لم يبدأ بتشغيل المحرك على الفور، بل اخرج صندوق مجوهرات صغيراً قائلا لها بهدوء:

«يدك، من فضلك!»

لم تحرك ساكناً. فيا كان منه الا ان امسكها من معصمها وفتح يدها ثم ألبسها خاتم الماس. سحبت سالي يدها دون أن تنظر الى الخاتم وقالت بحدة:

«لا اريد خاتماً منك.»

«تأخرت كثيراً لتغيير رأيك يا صغيرتي!»

«رباه! اني بالتأكيد مجنونة!»

لم يعلق لوك على ملاحظتها الغاضبة بل قال لها بلهجة جادة:

«بدون مساعدتي، سيضطر والدك الى التخلي عن عمله وشقته وسيارته. اجتماعيا، سيصبح منبوذاً... سينبذه حتى اولئك الذين يعتبرون من الاصدقاء المقربين!»

ازعجتها كثيراً تلك الصورة القاتمة التي رسمها لها وقالت له بهدوء حزين:

«انك لست افضل من ذلك المرابي الذي طلب من لحم الرجل مقابل استدانته بعض المال لكن تأكد جدا يا لوك اندريتي، انه لولا والدي لكان يسعدني كثيراً ان اقول لك اذهب الى الجحيم!»

«هل تتصرفين دائما بهذا الشكل الرافض والسلبي مع جميع الرجال؟»

«معك انت فقط»

«ياللعجب! ولكن لماذا؟»

«تعجب ماشئت، لايهمني!»

ضحك بمكر فزاد غضبها واحمر وجهها، فقال لها:

«اوه، انك شابة عصبية للغاية.»

«وانت الشيطان بعينه!»

«يبدو انك تحبين تكرار هذا القول لي.»

ثم مد يده الى مفتاح السيارة وأدار المحرك وهو يقول:

«ربما ساعدك العشاء على تحسين مزاجك.»

لم تعلق سالي بشيء على الفور بل راحت تحلل شخصية هذا الرجل. وللحظة وجيزة شعرت بانها نادمة على تصرفاتها القاسية معه. فمهما كانت شخصيته او اساليبه، فانه يفي بحصته في الصفقة المعقودة بينهما وهي تمهيد الطريق امام عودة والدها الى وضعه المالي الطبيعي. وها هو الآن يهديها خاتم

خطوبة كيلا يحرج موقفها عندما تشاهد معه هذه الليلة. وفجأة قررت ان تتحدث معه بلهجة طبيعية وعادية، فقالت له بهدوء:

«الأيام القليلة الماضية لم تكن سهلة جداً بالنسبة الي. فقد بدا دائماً ان الكلمة الأخيرة هي لك وانك تحصل على ما تريد بدون ان تأخذ الآخرين بعين الاعتبار.»

ابتسم ابتسامة خفيفة ولكنها بريئة ولا تحمل اي سخرية او تهكم على غير عادته، وقال:

«وهذا يغضبك ويثيرك. أليس كذلك؟»

«بشكل لا يطاق! اريد ان اصرخ واثور في وجه القدر لأنه يعاكسني ويؤذيني.»

«في وجهي انا على ما أظن، لأني تجرأت على التلاعب بقدرك ومصيرك وتحويل النتيجة لصالحي.»

«صحيح.»

امضيا بقية الطريق الى المطعم صامتين. ولما جلسا الى المائدة، وتركت له حرية اختيار الانواع التي يريدها من المأكولات غير عابئة بما سيطلب وبما ستأكل.

«ألا توجد في هذه اللائحة اي انواع تحبينها؟»

«الحقيقة انني لست جائعة كثيرا.»

«لو طلبت منك ان ترقصي معي فانك بالتأكيد سترفضين!»

قالها بلهجة ساخرة فيها الكثير من التحدي. قبلت سالي التحدي بدون ان تدري السبب الحقيقي لذلك. وقالت:

«لا. أبداً... فأنا أحب الرقص، ولكني اخشى... ان تكون هذه الموسيقى عصرية جداً بالنسبة اليك.»

«انا لا أزال في السابعة والثلاثين من عمري، ياعصفورتي الصغيرة. ولم تبعدني اعمالي كثيراً عن مسايرة العصر، بما في ذلك احدث انواع الرقص واكثرها جنوناً.»

ابتسمت سالي مرة اخرى وسألته بتهذيب فيما كانت تسبقه الى حلبة الرقص:

«حقا!»

اثار لوك دهشتها واستغرابها عندما بدا فعلاً انه مطلع على كافة الرقصات الحديثة ويرقص بطريقة طبيعية رائعة وليس على أساس عرض المواهب. فترة قصيرة، لم تعد سالي تعتبره عدوا... وبدأت تستمتع بوقتها. عندما تحولت الموسيقى من انغام صاخبة الى انغام هادئة وحالمة، ابتسمت له وهزت برأسها شاكرة واستدارت نحو طاولتها بغية الفرار من الرقصات التالية. ولكنه امسك بذراعها وشدها نحوه. ولما تطلعت فيه شاهدت تلك النظرة الساخرة الماكرة في عينيه السوداوين وشعرت بأن لا مفر من البقاء. طوق خصرها بذراعه وامسك يدها اليمنى بيده اليسرى بدون ان يقول شيئاً. غمرها شعور غريب لم تعرف سببه، واحست بان نبضات قلبها تتسارع وانفاسها تتقطع. يا للسخرية! انها قطعاً لا تحب الرجل... بل انها حتى لاتطيقه! فلماذا اذن هذا اللهاث وهذا الذوبان!

وبما انه لم يحدثها بشيء، اخذت تجول بانظارها على رواد ذلك المطعم الراقي الذي يقع في قلب المدينة. وفجأة اتسعت عيناها قليلا عندما شاهدت شانتريل بايكر سفيلد، ولكنها فتحتهما اكثر عندما لاحظت ان رفيقها لم يكن الا... فيليب! كانا يهرولان بسرعة وهما يتبعان النادل المسؤول الى الطاولة الوحيدة التي لا تزال شاغرة. وعندما اقتربا قليلا، حاولت سالي التطلع نحو زاوية اخرى ولكن شانتريل انتبهت لوجود لوك فنادته باسمة ضاحكة بكسل دفع سالي الى عض شفتها حنقاً وغضباً.

«مرحباً ايها الرجل الزئبقي المتملص! انك لم تقبل اياً من دعواتي المتكررة خلال الأسابيع القليلة الماضية.»

لم تكن شانتريل قد شاهدت سالي بعد، الا ان فيليب رآها واحمرّ وجهه غضباً وغيرة، وفي هذه اللحظة بالذات كان لوك يرد على شانتريل بأسلوب غير مشجع:

«كنت منشغلا كثيراً هذه الأيام.»

«يبدو ذلك واضحا الى حد كبير يا لوك.»

لم يعلق لوك بشيء على الفور، فسألته بغنج:

«ما رأيك في الاسبوع المقبل ايها الحبيب؟»

ثم استدارت بسرعة لمعرفة رفيقته في تلك السهرة، وشهقت بقوة استغراباً ودهشة وهي تقول:

«رباه! سالي بالينغر!»

ارغمت سالي نفسها على الاحتفاظ باكبر قدر من الهدوء وبرودة الاعصاب وحيتها بايجاز، ثم فعلت الشيء ذاته مع فيليب، وسمعت شانتريل تسأل لوك بحشرية تكاد تقتلها:

«أوه، هل انتما تحتفلان بشراكة جديدة او ما شابه؟»

تطلعت سالي نحو اندريني فلاحظت ابتسامة ساخرة تعلو وجهه وهو يجيب شانتريل بلهجة جافة:

«يمكنك تسميتها كذلك.»

اقتربت منه شانتريل ووضعت يدها على ذراعه بدلال مصطنع وسألته:

«وتفضل الاحتفال بمفردك؟»

«سالي وانا لم نعتقد انه من الضروري دعوة احد آخر لمشاركتنا هذا الاحتفال.»

«سالي؟»

قالتها باسلوب يوحي بانها استغربت جداً ذكر اسمها في مناسبة كهذه. ثم مضت في تساؤلها قائلة:

«سالي؟ وهل لوجودها اي اهمية او مغزى؟»

شعرت سالي بأنها على وشك ان تصرخ غضباً واحتجاجاً. ولاحظ لوك بريق السخط والاستعداد للمواجهة القوية في عينيها والاحمرار المتزايد في خديها. فمد يده وامسك بيدها متعمدا تشابك اصابع اليدين برقة وحنان، وابتسم لها ابتسامة رقيقة ومحبة لدرجة اذهلتها، ثم قال:

«بالطبع، ويمكنك تقديم تهانيك وتمنياتك الطيبة... لأنني قررت التخلي عن العزوبية لصالح الزواج!»

شهقت شانتريل استغراباً وقالت بصوت مرتفع:

«هل انتما مخطوبان؟ لبعضكما؟»

هز لوك برأسه علامة الموافقة ولمعت عيناه ببريق ماكر عندما شاهد احمرار الخجل والغضب معاً يغطي وجه سالي. واصرت شانتريل على متابعة الاستجواب بقلة حياء ووقاحة، فسألته:

«والزواج؟ هل هو في العام المقبل، على ما اعتقد؟»

رد عليها لوك بصوت هادئ دون ان يبعد نظراته لحظة عن وجه سالي:

«بعد غد! لقد قررنا اننا غير قادرين على الانتظار طويلاً... أليس ذلك صحيحاً يا محبوبتي ؟»

سأل سالي بغنج وحنان، فردت بكلمة واحدة لم تؤكد فيها او تنف ما قاله بصدد عدم القدرة على الانتظار. اما شانتريل التي ازدادت حدة غضبها المكتوم، فقد عقدت جبينها وقالت بسخرية لم تحاول اخفاءها:

«سالي غير مخلصة على الاطلاق! حتى ايام خلت، كان فيليب يعتقد انه هو الرجل السعيد. عيب عليك يا سالي لتضليله على هذا النحو!»

عندها لم تعد سالي قادرة على التحكم باعصابها فردت عليها ولكن بهدوء مصطنع:

«انا لم اضلل فيليب في اي وقت من الاوقات. اما اذا كان يتصور اموراً مختلفة فان اللوم يقع عليه وليس عليّ.»

اتسعت عينا شانتريل وقالت لها بلهجة تعمدت فيها المكر والخداع:

«حقاً؟ ان المسكين يشعر بالحيرة وبأسى يسحق قلبه نتيجة للطريقة التي رميته بها جانباً!»

شعرت سالي بان عيني لوك تتأملانها بتمهل ودقة، وكان الغضب قد بلغ منها عندئذ حداً كبيراً. تمالكت اعصابها قليلا وقالت لشانتريل بخبث ومكر مماثلين، متعمدة التظاهر بالرقة والنعومة:

«لا شك ان صحبتك له ستشفيه سريعاً، يا عزيزتي!»

«من المؤكد انني لن احاول منعه من... من الاستشفاء، ايتها الحبيبة! ولكني بالتأكيد مستاءة منك كثيراً لأنك سلبت هذا الرجل الرائع... لوك اندريتي من امام عيني. كنت افضل كثيراً ان يكون هو من نصيبي أنا.»

نظرت سالي نحو لوك فأزعجتها فيه تلك النظرات الساخرة التي عكست شعوراً بالترفيه والتسلية لما يسمعه من هاتين الفتاتين المتحمستين. واحست سالي برغبة قوية لصفعه وازالة تلك الملامح الخبيثة الماكرة عن وجهه الباسم.

«سوف نذهب الى طاولتنا.»

قالتها شانتريل لفيليب ثم تطلعت نحو لوك وقالت له بجدية مصطنعة:

«الحقيقة يا لوك، ان سالي ليست جديرة بما فيه الكفاية لتكون... شريكتك، في اي حال، حين تشعر بانك غير سعيد او مرتاح او مكتفٍ...»

وتعمدت انهاء جملتها عند هذا الحد وبهذه اللهجة الاستفزازية المثيرة، قبل ان تمسك بذراع فيليب وتقوده نحو الطاولة الشاغرة. في تلك الأثناء، كانت سالي تغلي سخطاً وغضباً، ثم قالت:

«افضل العودة الى البيت، ان لم يكن لديك مانع.»

تأمل ملامحها الغاضبة والحانقة بسرعة وقال مبتسماً:

«سيكون من الحكمة بمكان ألاّ تدعي فراشة المجتمع المخملي هذه تزعجك او تثيرك.»

«اعذرني لأني لا املك موهبة السخرية والتهكم مثلك!»

«لايمكن للمرء ان يحقق اي انجازات ناجحة ما لم يكن قادراً على اكتشاف نقاط الضعف لدى الآخرين.»

«ان لم تكن راغبا في ايصالي الى البيت، فسآخذ سيارة تكسي.»

قررت انها لم تعد قادرة على البقاء في ذلك المكان لحظة واحدة. وكانت مشاعرها آنذاك مزيجاً مزعجاً من الحنق والغضب والازدراء. استدارت بسرعة نحو الباب وبدأت تمشي غير عابئة او مهتمة بما اذا كان يتبعها ام لا. وعندما وصلت الى باب المطعم، خرجت مسرعة ونزلت الدرج ثم اشارت الى احدى سيارات التكسي. فخفف السائق من سرعته وتوقف امام المدخل. ولما همت بفتح الباب الخلفي شعرت بيد قوية تمسك بكتفها وسمعت لوك يقول لها بهدوء:

«الافضل ان تنتظري قليلاً.»

ثم انحنى بعض الشيء وطلب من السائق ان ينصرف. رد السائق بكلمات لم تفهمها سالي الواقفة على بعد خطوتين من السيارة. ولكنها سمعت لوك يضحك ويجيبه بالايطالية. تطلعت نحو السائق فشاهدته يبتسم وينطلق بسيارته بحثاً عن ركاب آخرين. انفجرت غاضبة وسألت لوك بحدة:

«لماذا فعلت هذا؟ ماذا قلت للسائق؟»

«شرحت له ببساطة وايجاز ان استقلاليتك هذه كانت نتيجة لشجار بسيط بين حبيبين.»

ثم امسك بذراعها وبدأ يسير نحو سيارته وهو يقول:

«ليست لدي اي نية على الاطلاق للسماح لك بالذهاب وحدك الى البيت، وبخاصة في مثل هذا الوقت المتأخر.»

«انك حقير!»

«في نهاية الأمر، لن تعودي قادرة على ايجاد مواصفات جديدة تطلقينها علي.»

قالها ببرودة اعصاب اثارتها وازعجتها. ومما زاد في غضبها ان جميع المحاولات التي قامت بها للافلات من قبضته الفولاذية باءت بالفشل.

«انك ايضاً عديم الاحساس مع الآخرين و... وخال من العاطفة!»

ابتسم وكأنها تسليه او ترفه عنه. ثم فتح باب السيارة وقال لها آمراً:

«ادخلي يا سالي!»

دخلت سالي مشمئزة من لهجة التسلط والتملك التي اوحى بها صوته ونبرته. اغلق الباب ثم استدار حول السيارة ليفتح بابه ويجلس وراء المقود. وقبل ان يدير المحرك، تطلع نحوها وقد تحولت نظرات السخرية والتهكم الى جدية ورصانة وقال:

«سيتم زواجنا في الواحدة من بعد ظهر الجمعة ويتبع ذلك غداء في بيتي. وسوف يقتصر الحضور على والدك وكارلو.. بالاضافة الينا نحن طبعاً.»

فردت سالي بابتسامة ساخرة وقالت له، فيما كان يدير المحرك وينطلق بسيارته نحو منزلها:

«ما اجمل ذلك حقاً! أمل ان يتمّ عقد القران في مكتب القاضي المدني المسؤول،

لانني لا انوي ابداً ارتداء ثياب الزفاف التقليدية. كذلك فان تلقي الزواج مباركة كنسية سيكون مدعاة لسخرية لاتصدق.»

«سيتم في مكتب القاضي المدني، ونذهب فور انتهاء المراسم الى المطار لنستقل الطائرة المتوجهة الى أوكلاند.»

«ولماذا؟ ألست تبالغ كثيراً في تمثيلك دور الزوج العاشق الذي يأخذ عروسه في رحلة تسمى شهر عسل؟»

لم يعجبه كثيراً استفسارها الذي يعكس استياء واضحاً وتهكمها الذي يوحي بلامبالاة وعدم امتنان، فقال لها شارحاً بهدوء:

«اعتقدت اننا اذا امضينا بضعة ايام بمفردنا...»

ضحكت بصوت عال وانهت عنه جملته بسخرية لاذعة:

«في مكان بعيد جداً لئلا اتمكن من الفرار والعودة الى ابي؟»

«انصحك بعدم اعداد اي مخططات من هذا القبيل. انا رجل ذو نفوذ ولن يطول الوقت قبل العثور عليك اينما كنت.»

«كي أواجه مصيراً اسوأ من الموت؟ هناك قوانين تحمي النساء من مضايقات الرجال.»

«كنت افكر بامور اكثر حذاقة ومكراً واشد ايلاماً.»

حولت نظرها بقرف بعيداً عنه وقررت عدم الاستمرار في هذا الحوار الذي لن ينجم عنه سوى المزيد من الغضب والحزن والتعاسة. وامضت الفترة التي استغرقها وصولها الى منزلها في صمت مطبق. وعندما اوقف لوك سيارته امام المبنى الذي يضم شقة والدها مدت سالي يدها بسرعة لتفتح الباب، فأمسك بذراعها قائلاً:

«لماذا تريدين الذهاب بهذه السرعة؟ هل انت خائفة من انني سأنقض عليك يا سالي ياتيغر؟»

«لا، ليس قبل الزواج. مع انك بعده ستحاول بلا شك اللجوء الى القوة... وربما الى الاغتصاب!»

تمتم لوك بكلمات غير واضحة عرفت سالي انها شتائم وسباب. ثم شدّ

بقبضته كثيراً على ذراعها حتى صرخت من الألم، وقال لها بغضب وعصبية:
«تتصرفين احياناً بطيش وتهوّر كالنساء الشاكسات. انصحك بلجم لسانك الغبي والا اخرسته.»

«اوه! وكيف ستفعل ذلك؟»

امتلأت عيناه السوداوان بغضب ساطع. فشدها نحوه بسرعة وضم رأسها بين يديه بقوة وعندما رفع رأسه عنها بعد اكثر من دقيقتين وافلتها من بين يديه الحديديتين، ابتعدت عنه بسرعة وجلست تحدق فيه وقد اغرورقت عيناها بدموع الحزن والخجل. ارتفعت يدها المرتجفة الى فمها ثم ارتفعت اليدان معا الى شعرها لتعيده قدر الامكان الى وضعه الطبيعي السابق. ارادت يائسة ان تحوّل نظرها عنه ولكنها لم تتمكن، وكأن قوة غريبة سمرتها في مكان واحد... عيناه!

«رباه! لماذا تحدقين بي هكذا؟ لم افعل شيئاً سوى معانقتك!»

استجمعت سالي قواها وردت عليه بصوت مرتعش:

«اشعر وكأنك عبثت بمشاعري ودست على كرامتي.»

«انت بدأت الاستفزاز.»

كانت نبرته غاضبة فشعرت بانها قتلت وهزمت. ابعدت نظراتها عنه واخذت تحدق في الفراغ. ثم قالت له بحزن وأسى وهي تفتح الباب بنفسها:

«اذا كنت تنوي بهجومك هذا اثبات تفوقك، فانك بلا شك قد فزت بالجولة الأولى.»

لم تشعر بأن لوك خرج من السيارة ولحق بها الى الجانب الآخر الا عندما وضع يده على ذراعها وهي تهم بولوج المدخل الرئيسي للمبنى. وقال لها بلهجة صارمة:

«سأوصلك الى باب الشقة.»

«لا داع لأن تكون بمثل هذه الشهامة والنبل، فأنا قادرة تماماً على الاعتناء بنفسي والوصول بأمان الى بيتي.»

ابتسم برفق ولكنه امتنع عن توجيه اي كلمة او ملاحظة، بل ضغط الزر الخاص باحضار المصعد. وفي تلك اللحظات المعدودة التي سبقت وصولها الى

الطابق الخامس، اخذت سالي تحارب مزيجاً مزعجاً من المشاعر المتضاربة بين الخوف والادراك... بين الغضب والتفهم. وشعرت بجسمها يرتجف قليلاً... لوك ليس رجلا يمكن تجاهله او تجنبه بنجاح او بسهولة. وهو ايضا رجل لم تلتق مثله من قبل. توقف المصعد ففتح لوك بابه مفسحاً لها في المجال للخروج، ثم تبعها قائلا:

«المفتاح، من فضلك!»

نظرت اليه مستغربة وقالت:

«يمكنك العودة الآن.. اني اعني ما اقول.»

رد عليها وهو يأخذ مفتاح الشقة من يدها المرتعشة ويضعه في القفل:

«سأعود عندما اطمئن الى دخولك البيت.»

فتح الباب فلم تتمكن الا ان تسأله بتبرم:

«وهل انت راض الآن؟»

«ليس تماما.»

كانت مرهقة تعباً الى درجة كبيرة لم تتمكن معها من مقاومته عندما ضمها الى صدره اغمضت عينيها لحبس الدموع التي تهدد بالانهيار بين لحظة واخرى. ستلجأ الى هذه الدموع الغاضبة بعد ان تصل بامان الى غرفتها وتستلقي على سريرها لتريح نفسيتها وجسمها المتعبين.

٤ ـ الزواج ... وشهر العسل!

كانت مراسم الزواج وجيزة وباردة، اما الغداء فكان شهياً ورائعاً اعده كلود بنفسه... وهو امر يندر حدوثه.

قطع العروسان كعكة الزفاف المؤلفة من اربعة طوابق وأخذ كل منهما قطعته يتذوقها بلذة ونهم. كانت سالي جميلة وأنيقة للغاية وكان لوك ايضاً جذاباً ووسيماً الى ابعد الحدود، ولو كانت المظاهر الخارجية وحدها هي التي تعكس المشاعر الحقيقية لتصور المرء انهما سعيدان ويناسبان بعضهما كلياً. وتساءلت سالي بصمت عما اذا كان والدها او كارلو أو حتى كلود، سيصدقون هذه التمثيلية التي تقوم ببطولتها الى جانب لوك!

«يجب ان نذهب قريباً الى المطار»

تطلعت نحو الرجل الطويل القامة الذي يقف قربها وقالت له وهي تتظاهر بالابتسام والسرور:

«بمجرد ان تصبح انت على استعداد لذلك.»

نظر الى ساعة يده بسرعة ثم اضاف:

«كارلو وضع حقائبنا في صندوق السيارة.»

«سأذهب الى المطبخ لأودع كلود.»

كانت جميع الاطباق والصحون قد وضعت في العربة المخصصة لها والمطبخ اعيد الى حالته الطبيعية تماماً، عندما دخلت سالي. استقبلها كلود بابتسامة عريضة قائلاً:

«جاهزة للذهاب؟ وأنا أيضاً! خادم السيد اندريتي سيهتم بقاعة الاستقبال بعد عودته من المطار.»

ثم تأملها لحظة وقال لها بشيء من القلق:

«تبدين شاحبة كثيراً يا سالي، فأين بهجة الزواج وفرح العروس؟!»

هذا أول الغيث! يجب ان تتحايل قليلاً لتفادي المزيد من الأسئلة المحرجة. ابتسمت وردت عليه بهدوء مصطنع وهي تتظاهر بان الأمر طبيعي جداً:

«الاعصاب يا كلود، الأعصاب! اعتقد ان كل فتاة تشعر ببعض الشكوك يوم زواجها.»

تنهد الرجل الفرنسي وقال لها بإخلاص واضح:

«اني حزين لفقدانك يا سالي. انك موهوبة، وطيبة، ومخلصة!»

شعرت بغصة وألم وترددت قليلاً قبل ان تقول له:

«يجب ان أذهب. الآخرون مستعدون للرحيل.»

«حظاً سعيداً يا سالي.»

ابتسمت وهي تهز برأسها شاكرة ثم خرجت بسرعة من المطبخ قبل ان يزداد تأثرها وتصبح غير قادرة على منع دموعها من الانهمار. ولم تكد تصل الى القاعة حتى شاهدت لوك يتأهب للتوجه نحو المطبخ لحثها، على ما يبدو، على الاسراع في الرحيل.

استغرقت الرحلة نحو المطار نصف ساعة. ولدى دخولهم القاعة الرئيسية، كان احد الموظفين يعلن عن اقتراب موعد الرحلة الى اوكلاند ويطلب من جميع المسافرين عليها انهاء معاملاتهم والتوجه نحو قاعة الخروج. وفيما كان لوك يهتم بأمر الحقائب وتذاكر السفر والأوراق الأخرى، اقترب جو باليفر من ابنته وعانقها بحرارة قائلاً:

«الى اللقاء يا حبيبتي. باركك الله واخذ بيدك. اتمنى لك سعادة دائمة.»

بدا والدها مرتاحاً تماماً، وقد اختفت من وجهه ملامح التوتر والارهاق التي كانت قد انهكت قواه نفسياً وجسدياً واظهرته انه يفوق عمره الحقيقي بعدة

سنوات. سمعت سالي النداء الأخير للمسافرين الى أوكلاند بأن يتوجهوا نحو الطائرة، فقالت لوالدها:

«سأتصل بك لدى عودتنا»

ولما ابتعدا عن المسافرين الآخرين والمودعين والمستقبلين، شعرت سالي فجأة بأنها دخلت نفقاً ذا اتجاه واحد؛ الرجل الذي يسير بجانبها الآن هو... زوجها! واضافت هذه الحقيقة التي لا مفر منها بعداً جديداً الى علاقتهما الوجيزة المليئة بالعواصف والتوتر والانفعال. نظرت بسرعة ودون قصد الى الخاتم الرائع الذي يزين الاصبع الثالث في يدها اليسرى، خاتم الزواج من البلاتين الخالص الذي اضيفت اليه عدة ماسات صغيرة جعلت منه خاتماً يبهر العين ويحبس الانفاس، وهذا ما حدث مع سالي بالضبط، وبخاصة عندما حولت نظرها الى ساعة اليد البلاتينية التي تزين ميناءها مجموعة رائعة من الماسات الأخاذة. هاتان التحفتان اللتان لم تسمح لنفسها بمجرد التكهن بثمنها، هما هدية لوك لها وقد ألبسها اياها قبل ساعة من الآن. وشعرت موقتاً بخجل شديد لأنها لم تعتقد ان من الضروري اهداء اي شيء على الاطلاق.

دخلت سالي الطائرة الضخمة واختارت المقعد القريب من النافذة. وشكرت الظروف ان تلك لم تكن اول رحلة رئيسية لها، اذ انها عبرت المحيط الأطلسي قبل عامين لتمضية عطلة شهرين مع امها في نيويورك. وبالتالي لم تبد أي انزعاج او انقباض ملحوظين لدى الاقلاع وارتفاع الطائرة الى العلو المطلوب.

«مجلة ؟»

تطلعت سالي بدهشة لتشاهد احدى المضيفات تحمل سلة معدنية عليها عدد كبير من المجلات الاسبوعية والصحف اليومية، وهي تبتسم لها مشجعة. شكرتها بتهذيب وذكرت لها اسم مجلتها المفضلة فأعطتها اياها المضيفة وحيتها قبل ان تنتقل الى الركاب القلائل الآخرين في الدرجة الأولى.

بذلت المضيفات جهدهن لاسعاد العروسين ومساعدتهما على تمضية رحلة الساعات الثلاث براحة ورضى تامين. وكان لوك يحاول بدوره ايضا ادخال البهجة والارتياح الى قلب سالي التي كانت ترد على احاديثه المطولة بردود

مقتضبة جدا تقتصر في معظم الاحيان على كلمة واحدة.. اما نعم او لا، او ربما. الا ان الحديث الوحيد الذي لفت انتباهها واصغت اليه باهتمام كلي هو ان نيوزيلاندا تتبع نظام التوقيت الصيفي، وهي بالاساس تسبق استراليا بساعتين. وهذا يعني انهما سيصلان الى اوكلاند حوالي الحادية عشرة بالتوقيت المحلي. وبعد انهاء معاملاتهما في المطار واستلام السيارة المستأجرة التي تنتظرهما قرب المدخل الرئيسي، فانهما بلا شك سيضطران الى التوجه فوراً الى الفندق.

ولاحظت سالي ان كل شيء يسير بسرعة كبيرة، بما في ذلك خطواتها نحو السيارة الكبيرة المتوقفة قرب المدخل. واستغربت جدا كيف انها لا تشعر بأي اثارة او حماسة لوجودها في بلد آخر.. لا تشعر بأي احساس معين لعبورها المحيط او لأنها تقف الان على ارض غريبة. لم تكن تشعر بشيء من هذا او ذلك بل تتطلع بقلق وانقباض نحو التطورات المقبلة.

جلست في السيارة دون ان تتفوه بشيء او تحرك ساكنا.. تزعجها كل دقيقة تمر وتقربها من تلك اللحظات التي سيعمل فيها لوك على جعلها حقيقة، فعلا وقولا، زوجة له. وخنقت صرخة مريرة كادت ان تطلقها عندما بدأت تحلل نفسيته وتتصور بالتالي الكيفية التي ستكون فيها مشاعرها معه تلك الليلة.

ها هي الآن مرتبطة برجل هدفه الوحيد من الزواج ان يرزق بابن يرث اعماله وامواله. فكيف سيتصرف معها وهما شخصان لا يجمع بينهما اي شيء على الاطلاق سوى المصلحة؟

فجأة، تحول لوك بالسيارة الى باحة كبيرة بمحاذاة الطريق الرئيسي. وشعرت سالي بغصة في حلقها وألم في قلبها وصداع في رأسها. الا انها تمالكت اعصابها وخرجت من السيارة لتصعد مع لوك الى جناحهما الفخم حيث سيتخذان الخطوة التالية من الصفقة المعقودة بينهما. كان المنظر رائعاً والمساحة كبيرة ومريحة للغاية. ولكن سالي لم تكن تركز الا على غرفة النوم المجاورة، والواقع المر الذي لا مفر منه وهو انها اصبحت الان وحدها بصورة تامة وانتبهت بانقباض

الى نظراته الفاحصة التي كانت تلاحقها باستمرار. ولكنه بدا بعد قليل ان الصمت المخيم عليها يتزايد وينمو حتى اصبح فراغا هائلا يهدد بدفعها الى ارتكاب حماقة او التصرف بجنون. وقررت ان الحل الأمثل لتفادي مثل هذه النتيجة السيئة يمكن في التحدث عن شيء... اي شيء! فسألته بصوت مرتعش:

«هل تريدني ان افرغ الحقائب؟»

رد عليها مازحا:

«يبدو انك متشوقة كثيرا للقيام بواجباتك الزوجية!»

شعرت بمزيد من التململ والتبرم وقالت له ببرودة اعصاب:

«لا اتصور انك ستسمح لي بأن اكون مهملة في اي من هذه الواجبات!»

رفع حاجبيه وقال لها بمرح ظاهر:

«وعلى وجه الخصوص.. في غرفة النوم!»

تراجعت خطوة الى الوراء عندما تقدم نحوها، ثم وقفت بتحد بعد ان استجمعت كافة قواها وشجاعتها، وقالت بعناد واصرار ظاهرين:

«انا لست شريكة او زوجة برضاها... وانت تعرف ذلك جيداً.»

ابتسم وقال لها، وقد بدا ان هذا الحوار يسليه ويرفه عنه:

«اما انك سطحية لدرجة لا تصدق او انك تتعمدين تمثيل دور البريئة، ايهما انت يا ترى؟»

«الثانية، طبعا»

قالتها سالي بسرعة وهي تقصد التهكم والسخرية غير عابئة بالنتيجة، وهي انها اوحت له بعكس ذلك تماما. مد يده وامسك بذقنها، ثم قال لها بخبث واضح:

«هكذا، اذن! ولكن، أليس صحيحا ان وجود عذارى في سن الثامنة عشرة وما فوق اصبح نادرا جدا في مجتمعنا هذا الذي يوصف بالتحرر والرقي؟ ألسنا في عصر تتصرف فيه النساء كالرجال بدعوى الحقوق والمساواة؟»

شعرت بصعوبة في التنفس وانقباض في المعدة. فأزاحت يده بهدوء عن ذقنها وقالت له بهدوء مصطنع:

«سأهتم بأمر الحقائب.»

امضت في غرفة النوم اطول مدة ممكنة... تخرج الثياب وتعلقها في خزانة الحائط وتضع بقية الاشياء في الأدراج المخصصة لها، وكأنسان سيواجه الموت بعد قليل. حملت ثوب نومها والرداء الذي تضعه فوق ثياب النوم عندما تكون خارج السرير ودخلت الحمام. ولما خرجت بعد دقائق معدودة، كانت سالي في وضع مزر تتضارب في رأسها أفكار مختلفة ومشاعر متناقضة. اللعنة! اللعنة على الظروف الصعبة التي ارغمتها على الدخول في تحالف تافه كهذا وصفقة رخيصة كتلك التي وقعتها صباح ذلك اليوم!

لم يكن ينير الغرفة سوى الضوء الجانبي عندما دخل لوك وباشر على الفور خلع ثيابه، تسمرت في مكانها بدهشة وذهول فيما كان لوك يواصل عمله دون ان يعير لوجودها اي اهتمام على الاطلاق. وما هي الا لحظات حتى رمى جانبا آخر قطعة من ثيابه وارتدى معطف الحمام. تدفق الدم بقوة الى وجهها وشعرت بخجل شديد وحاد. استدارت بسرعة بحجة تعليق بعض الثياب فتقدم نحوها وهو يقول:

«اعتقد انك فعلا شابة خجولة وان الحياء هو احد صفاتك المميزة.»

مد يده وحل شعرها الذي كانت تربطه بشريط حريري، فتطاير الشعر الأشقر كشلال ضوء على كتفيها وقسم كبير من ظهرها. حاولت الابتعاد عنه فأمسكها من كتفها وقال لها محذرا بهدوء:

«لا تلعبي دور الفتاة الصغيرة يا سالي!»

استدارت نحوه وقد حل الخوف والذعر محل الغضب والاشمئزاز وقالت له بعصبية ظاهرة:

«اني لا العب دور احد! لا ألعب!»

بحركات تعمدها ان تكون رقيقة وبطيئة، سحب الرداء الذي كانت ترتديه فوق ثياب نومها الشفافة ثم امسك بكتفيها وشدها نحوه وهو يقول بلهجة ماكرة:

«من المؤكد انك ستهربين، لو كنت قادرة على ذلك.»

عاد الغضب يحل محل الذعر والخوف عندما حاول تقبيلها على عنقها. تململت، تبرمت، ركلت... حاولت جهدها التملص والتخلص من ذراعيه، ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل. وكانت ضحكته الخفيفة التي اطلقها في احدى اذنيها القشة الأخيرة. صرخت به غاضبة، خائفة، وهي تشعر بأنها تكرهه بكل جوارحها:

«انك همجي... متوحش...»

اخرسها بعناق طويل وعميق شعرت معه بأنها تكاد تختنق. ابعدت رأسها عنه بجهد بالغ وصرخت بصوت متحشرج وهي تحاول يائسة تحرير يديها اللتين كان يمسكهما بقوة وراء ظهرها:

«دعني.. اتركني... ابتعد عني!»

ابتسم بعصبية وقال لها دون ان يتحرك من مكانه او يفلتها:

«لماذا تحاربينني يا صغيرتي؟ ستتعبين قبل ان نبدأ.»

تنفست بقوة وقالت له بحدة وهي تهز رأسها يمنة ويسرة بعنف بالغ:

«وماذا كنت تتوقع؟ حملاً وديعاً يسلم نفسه للذئب الجائع بسهولة ويسر؟»

«لو كنت اريد شريكة كهذه، لما وجدت اي صعوبة على الاطلاق. انهن بالعشرات يا صغيرتي!»

قال الجملة الأخيرة بمزح ظاهر، ثم رفعها برقة ونعومة بين ذراعيه وحملها نحو السرير. وصرخت به غاضبة:

«سوف اكرهك! سوف اكرهك!»

استيقظت سالي في اليوم التالي وكانت رائحة القهوة الطازجة تعبق في الغرفة، ممتزجة برائحة الفطور الشهي.

في اللحظات الأولى لم تكن سالي متأكدة مما يحيط بها، ثم تذكرت الحقيقة الساطعة واستعادت بعضاً من تفاصيلها. رفعت نفسها ببطء واستدارت الى الناحية الأخرى من السرير، الا ان لوك لم يكن هناك. تطلعت بساعة يدها فاكتشفت ان الوقت تعدى العاشرة. وسرها انها تمكنت من النوم حتى هذه الساعة. على الرغم من اقتناعها الثابت بأن مثل هذه الراحة المحمودة ستكون امراً مستحيلاً.

خرجت من السرير بهدوء ثم توجهت فوراً الى الحمام حيث امضت وقتاً طويلاً تحت الماء البارد. انها بداية طيبة ومنعشة لنهار لن يعكره سوى التفكير بما سيجلبه الليل من ألم وعذاب نفسيين عندما تضطر لمواجهة لوك مرة اخرى في غرفة النوم. سرحت شعرها ببساطة وقررت عدم استخدام اي من مجموعة مستحضرات التجميل الضخمة التي حملتها معها من سيدني. ثم رفعت رأسها بشموخ واخذت نفساً عميقاً وتوجهت بعزم وثبات نحو المطبخ الصغير الملحق بالجناح الضخم.

ابتسم لها لوك على الفور ابتسامة عريضة وحنونة وحياها بكلمات رقيقة ومهذبة. وكانت النظرة السريعة التي وجهتها سالي نحوه كافية لتسارع نبضها ودقات قلبها بنسبة خطرة. كان يرتدي سروالاً رمادياً وقميصاً زرقاء، مما اضفى عليه جاذبية ورجولة لا يمكن تجاهلها. لا، انه مجرد انفعال ناجم عن توتر الاعصاب! يجب عليها ان تحاول التصرف بشكل طبيعي! ردت عليه بكلمات مماثلة الى حد ما ثم سألته:

«هل اصب لك فنجاناً من القهوة؟»

«نعم، ارجوك. اني بحاجة الى قليل من القهوة الآن.»

لم تتمكن من استخلاص الكثير من تلك اللهجة العادية والنبرة الطبيعية اللتين لم تعتد عليهما من قبل. ولكنها لما عادت ومعها القهوة، وجدته يطفىء الطباخ الكهربائي ويضع محتويات مقلاته الضخمة في صحنين. انها كمية كبيرة في صحنها لا يمكنها ابداً ان تأكلها بكاملها.

«اني لست جائعة الى هذا الحد.»

تطلع فيها وقال لها وهو يجلس على احد الكرسيين:

«اجلسي يا سالي، وتناولي فطورك.»

احمر وجهها قليلاً. اللعنة! الا يمكنه أن يدعها وشأنها؟ لماذا يصر على افساد نهارها!

«من المؤكد انك ستعطيني حرية اختيار الكمية التي يمكنني أكلها؟»

نظر اليها مرتبكاً وكأنها فاجأته بهذا السؤال غير الضروري. وقال:

«ان كنت مصرة على مجادلتي فعلى الأقل انتظري حتى اكمل فطوري.»

سألته بدلال مصطنع :

«لماذا ! الا تعرف التصرف بشكل طبيعي اذا كانت معدتك فارغة؟»

تأملها بعينين ساخرتين كلهما حيوية ورغبة ونشاط وقال لها ببرودة:

«ان كنت تعنين الليلة الماضية، فان جملتك ليست في مكانها الصحيح، هل كنت تتوقعين قبلة محتشمة وعفيفة لا اكثر؟»

ردت على نظراته الحادة بصعوبة:

«لم تكن بحاجة لأن تتصرف بمثل ذلك الاسلوب الحيواني المقرف!»

رفع احد حاجبيه بتهكم وقال لها بلهجة باردة:

«انت اعترفت لي بأن لديك خبرة في هذا المجال، ثم حاربتني كاحدى الساحرات المشاكسات. لو كنت اعلم بأنك حقاً بريئة الى هذه الدرجة، لتصرفت بنعومة ورقة ولما استخدمت ذلك الاسلوب الهجومي القاسي.»

«اعذرني ان لم اتمكن من تصديق كلامك!»

«كان من الممكن ان يكون الوضع أسوأ بكثير.»

قالها بلهجة توحي بأنها تحمل تهديداً مباشراً، فشعرت سالي بارتعاش قوي يهز جسدها وضلوعها. ارادت ان تذهب بعيداً عن هذا الرجل الكريه الساخر، ولو لعشر دقائق فقط، فقالت له:

«سأشرب القهوة على الشرفة.»

«انصحك بأن تأكلي شيئاً. السفر بمعدة فارغة سيزعجك كثيراً.»

تطلعت فيه بسرعة وسألته بتردد ولهفة :

«هل تعني... اننا لن نبقى هنا بضعة ايام؟»

«وماذا كنت تتصورين انني سأفعل يا زوجتي العزيزة؟ احملك الى غرفة النوم واقفل الباب علينا اربعة ايام كاملة نمضيها في الحب؟»

وابتسم بخبث وتابع كلامه قائلاً :

«اني ارى من احمرار خديك بأن هذا بالضبط ما كنت تفكرين به. لا تغر الشيطان الموجود بداخلي يا عصفورتي. لقد حاولت اكثر من مرة ان تثيريني وتفقديني

صبري واكتشفت ان النتائج لم تكن محببة على الاطلاق.»

ثم تنهد قليلاً وقال لها بتململ واضح:

«اذهبي واشربي قهوتك. ستجدين جريدة الصباح على الطاولة. الكلمة المطبوعة ستكون بلا شك افضل من صحبتي ورفقتي.»

حملت سالي فنجانها وهربت الى الشرفة دون ان تنظر وراءها. جلست تتمتع باشعة الشمس الدافئة وبالهواء النقي المنعش، وتتطلع بين الحين والآخر الى المدينة والمرفأ... والسيارات والمشاة، والمحال التجارية. ثم اخذت الصحيفة وقرأت العناوين الرئيسية والقت نظرة سريعة على الصفحات الداخلية.. والصور التي تملأ مساحات كبيرة من تلك الجريدة.

بعد نصف ساعة كانت حقائبها موضوعة ومرصوصة بترتيب جنباً الى جنب قرب الباب. ورفعت سالي رأسها عندما دخل لوك غرفة النوم وسألها باقتضاب:

«مستعدة؟»

هزت رأسها بصمت وراحت تتأمله وهو يضع الحقيبة الصغيرة تحت ذراعه ثم يحمل الحقيبتين الاخريين بيديه ويقول لها:

«سأضع الحقائب في صندوق السيارة واعيد المفتاح الى موظف الاستقبال. انتظريني في السيارة.»

حاولت منع نفسها من التعليق ولكن جملتها سبقتها:

«وماذا لو اغرتني نفسي بأن اذهب واتركك هنا؟»

نظر اليها بعصبية ظاهرة وقال بلهجة قاسية وخطرة:

«انك اليوم فتاة حمقاء معاكسة، مصممة على افساد نهاري.»

انها فعلاً حمقاء والا ... فلماذا تصر على اتباع هذا الاسلوب من التدمير الذاتي؟ لماذا تدع نفسها تتصرف على هذا النحو من الغباء؟ اين عقلها؟ اين منطقها؟ وقررت ان تحاول اتباع منهج عقلاني منذ هذه اللحظة فسألته بجدية هادئة:

«والى اين الآن يا لوك؟ انا في بلد غريب وتذاكر السفر معك.»

ثم ضحكت ببرارة واضافت:

«طبعاً يمكنني طلب المساعدة من رجل الأمن. يا لها من قصة مثيرة! اني ارى العناوين الرئيسية... العروس الهاربة تطلب الاستعانة بالشرطة، والزوج يلاحقها!»

وتنهدت بسرعة ثم قالت:

«سيلاحقني بلا شك، أليس كذلك يا لوك؟ ثم ألست انا العقار المرهون لديك لقاء تسديد ديون والدي؟ مسكين أبي... لو انه يعرف ما حدث!»

«اصعدي الى السيارة يا سالي، قبل ان افعل شيئاً تندم عليه!»

قالها بلهجة تحذيرية واضحة وبنبرة حادة شعرت سالي ان من السخف والغباء تجاهلها، سبقته الى السيارة وهي تفكر بما جرى بينهما. ولاحظت انه لم يتملكها ذلك الشعور بنشوة الانتصار لأنها أثارت غضبه وحفيظته بشكل جدي وجارح، بل على العكس من ذلك، اخذت تحلل تصرفها ومدى الحكمة فيه وتوصلت الى نتيجة مزعجة وهي انها ارتكبت خطأ فادحاً وتصرفت برعونة وغباء.

ظلت صامتة اكثر من ساعتين... خائفة من ان تؤدي اي محاولة منها لتمضية الوقت بالحديث الى النفور بكلمات استفزازية تعيد التوتر الى اعصابها. لم تعرف وجهتها ولم تكن متحمسة كثيراً لتسأل. وما هي اهمية السؤال في اي حال؟ هل من مجال لمناقشته او الاعتراض على قراره؟ التفكير المتواصل بما حدث ويحدث يمنعها من التمتع بتلك المناظر الخلابة. فلتتوقف عن التفكير به وتركز اهتمامها على جمال الطبيعة الرائعة... بتلالها وسهولها الخضراء، ومراعيها الشاسعة التي تملأها الابقار والخراف السمينة. وشعرت فجأة بجوع حاد يفسد عليها تأملاتها... ويذكرها برفضها السخيف لتناول طعام الصباح على رغم طلبه وتحذيراته. ارادت عندئذ ان تسأله عن وجهة رحلتهما، ومتى يتوقع وصولهما، وكم سيمضيان هنالك و... متى يمكنها ان يأكلا!

«هل أنت جائعة؟»

«اذا أجبتك بنعم، فهل ستمتنع عن تذكيري بما قلته لي قبل بضع ساعات؟»

رد عليها بهدوء وجدية:

«اصبحنا على وشك الوصول.»

لم تتمكن من ردع نفسها عن السؤال الذي يشغل حيزاً من تفكيرها:

«الوصول... الى اين؟»

ابتسم قليلاً وبدأ يشرح لها عن محطتها التالية:

«روتوروا! منتجع سياحي مشهور جداً بانه موطن حضارة الماووريين اي شعب نيوزيلندا الأصلي. وكذلك لأنه احد الأمكنة القليلة في العالم حيث تكون قشرة الأرض رقيقة للغاية. ولذا فان روتوروا غنية جداً بالمياه المعدنية وينابيع المياه الحارة، وحمامات الطين الساخنة التي تستخدم لاغراض صحية. الا تشمين رائحة الكبريت؟»

هزت سالي انفها متساءلة:

«أهذه هي الرائحة التي نشمها منذ بعض الوقت؟»

هل هي رائحة مزعجة ام ممتعة؟ لم تتمكن سالي من الاجابة على سؤالها وقررت في النهاية ان الذين يعيشون في هذا الجوار لا بد وانهم اعتادوا على رائحة الكبريت ودخانه ولم تعد تؤثر فيهم سلباً او ايجاباً. خلال لحظات وصلا الى الشارع الرئيسي للبلدة، فأخذت تنظر حولها باهتمام بالغ كان الشارع يعج بالمشاة الذين بدا معظمهم انهم من السياح لكثرة آلات التصوير التي يعلقونها على صدورهم. ثم سمعت لوك يقول لها:

«الفندق الذي سننزل فيه موجود قبالة الحدائق المشهورة. سنسجل اسمينا ونضع حقائبنا ثم نجد مكاناً نتناول فيه طعامنا.»

كان جناحهما يطل على بركة سباحة كبيرة تعج بالسابحين والسابحات، كما يتحلق حولها عشرات آخرون يستمتعون بأشعة الشمس الدافئة او يشربون المرطبات المثلجة التي تروي عطشهم. ووعدت سالي نفسها بأنها ستمضي اليوم بعض الوقت في مياه البركة النظيفة والباردة. وضعت حمرة الشفاه وسرحت شعرها بسرعة كي تذهب الى الغداء، وقد بلغ منها الجوع والاعياء حداً كبيراً.

كان ذلك افضل غداء أكلته في حياتها وكانت تلك اشهى فاكهة تمتعت بها منذ زمن بعيد. وبعد ان شربا القهوة سألها لوك:

«ما رأيك بجولة في وايكوروا؟»

تطلعت بزوجها وهزت بكتفيها قائلة:

«كما تقول.»

«سنقوم غداً ان شاء الله بجولة حول البحيرات ونزور احدى مناطق الينابيع الحارة. ثم نتوجه الى توبو ومنها نتجه يوم الاثنين نحو الشمال حيث نزور المنطقة السياحية الرائعة التي تسمى خليج الجزر. وننطلق من هناك باتجاه اوكلاند حيث نصلها عند الظهر. انا متأكد من أنك لن تتجاهلي ذلك الاهتمام النسائي الأزلي، وهو القيام بجولة على المحال التجارية.»

كم انك على حق ايها الزوج العزيز؛ انها فعلاً متشوقة لشراء الكثير من الأشياء الضرورية. ابتسمت وقالت له بارتياح:

«سأغريك بالانفاق بسخاء على اي شيء احبه.»

«ربما كان من الأجدى اذن ان ابتاع حقيبة اضافية!»

وافقت على كلامه وهي تراقب ابتسامته الساخرة:

«هذه فكرة جيدة.»

امضيا ما تبقى من فترة ما بعد الظهر يتمشيان في الممرات المخصصة للمشاة داخل تلك الحديقة الضخمة الرائعة يمتعان نظرهما بينابيعها الحارة وينابيع المياه المعدنية وبرك الطين الساخن، التي كان التفرج عليها وتصويرها تسلية وزيادة معلومات في آن معاً. وكان برفقتهما دليل سياحي من الماووريين يحدثهما عن التراث الشعبي والفكري لشعب نيوزيلاندا الاصلي، ويشرح لهما عن بعض التقاليد والعادات. وبمجرد عودتهما الى الفندق بعد الخامسة بقليل قالت سالي لزوجها:

«سأسبح قليلاً ان لم يكن لديك اي اعتراض.»

«ولماذا اعترض؛ ان نفسي تحدثني بالانضمام اليك.»

وابتسم لوك بمكر عندما شاهدها تحمل القطعتين الصغيرتين اللتين تؤلفان ثوب السباحة. وعندما شاهدت تلك النظرات، قالت له بخبث مماثل:

«اتصور انك ستجلس طوال الوقت على حافة البركة، بعيداً عن الهرج والمرج !»

ضحك بهدوء واجابها بتهكم مشابه:

«حقا؟ وهل تعتقدين انني اصبحت عاجزا في السابعة والثلاثين؟»

عبست وقالت له بكثير من المرارة:

«انك لم تكن صغيرا ابدا يا لوشيانو اندريتي! انا متأكدة من انك اتيت الى هذا العالم وقد عشت حياة مليئة بالاثارة والخبرة سابقا، أليس كذلك؟»

رد عليها بلهجة تجمع بين الجدية والألم، وهو يسند نفسه بتكاسل على حافة الباب:

«انا رجل عصامي يا صغيرتي، صنعت نفسي بنفسي. كنت ولدا صغيرا عندما توفي والداي ولم يفصل بينهما سوى اشهر قليلة. نشأت شقيقتي وترعرعت في احد المياتم الذي تشرف عليه مؤسسة خيرية. اما انا فقد عملت ليلا ونهارا حيثما كنت أجد عملا. اشتغلت في امكنة قذرة، في ورش بناء، على سفن الشحن... اشتغلت في معظم الدول الأوروبية. وكنت ادرس الرياضيات وعددا من اللغات.»

ثم تنهد وتابع حديثه بهدوء:

«قبل خمسة عشر عاما هاجرت انا واختي انجيلينا الى استراليا. وبالعمل الشاق، والتصميم الجدي، وبعض الاستثمارات الذكية، حققت لنفسي النجاح الذي كنت دائما اصبوا اليه وجنيت بالتالي ثروة لا بأس بها.»

كانت سالي واقفة دون حراك تراقب وجهه وانفعالاته وتسمع باهتمام لكل كلمة يقولها. وعندما انتهى من حديثه استوضحته قائلة:

«واختك ؟ ماذا حل بها؟»

رد عليها مبتسما بارتياح ظاهر:

«انها الآن امرأة متزوجة وسعيدة جداً مع زوجها واولادها الثلاثة الذين يبلغ كبيرهم الرابعة في حين لم يتجاوز صغيرهم بعد ستة اشهر.»

ثم اضاف بلهجة حنونة ومرحة:

«الأولاد يحبون خالهم جدا، وانا دائما عند حسن ظنهم. فبالاضافة الى تعلقي الشديد بهم، فاني ازورهم باستمرار واحمل اليهم دائما الهدايا التي يحبونها. سنمضي فترة عيد الميلاد معهم.»

ترددت لحظة ثم سألته:

«هل تعرف اختك شيئا عني؟»

«الى حد ما؛ فهي تعرف اني وجدت لنفسي زوجة.»

«ولكنها لا تعرف سبب هذا الزواج؟»

رد عليها بجفاف وهو يوجه اليها ابتسامة هازئة:

«يكفي انها مسرورة جدا لأن فتاة ما اقنعتني اخيرا بأن اتخلى عن حياة العبث واللهو واعيش حياة بيتية محترمة.»

ثم ضحك وتابع حديثه قائلا:

«انها بلا شك ستبدأ خلال اسابيع قليلة بالاستفسار عن الموعد الذي ستصبح فيه عمة فخورة.»

احمر وجهها حياء، فاستدارت فجأة وهي تقول له بصوت خافت:

«اني ذاهبة الى بركة السباحة.»

احس بخجلها فابتسم ابتسامة عريضة ثم قال لها برقة:

«سألحق بك خلال دقائق قليلة.»

كانت المياه باردة ومنعشة، ونظيفة الى درجة ملفتة للنظر. غاصت سالي بسرعة وقوة ثم عادت الى سطح الماء لتملأ رئتيها بالهواء، وترد شعرها الذي يحجب الرؤية عن وجهها وعينيها. كان هناك شخصان آخران في البركة وخمسة او ستة خارجها يشربون الشاي. وفجأة احست بشخص يقترب منها. التفتت وراءها لتشاهد لوك يغمزها بعينيه وهو يبتسم بمرح وتحد. دفعها شعور باطني الى الغوص مرة اخرى والسباحة تحت الماء نحو الجهة الاخرى من البركة. وشعرت خلال الثواني القليلة التالية انها تمكنت من الافلات منه بنجاح؛ الا ان فرحتها لم تدم طويلا! فقد امسك برجلها وشدها نحو قاع البركة. حاولت التملص، فلم تفلح. وعندما صعدا الى وجه الماء، تنفست بعمق وقالت له بصوت متقطع:

«اوه! اني اكاد... لماذا...»

قاطعها لوك مازحا وهو لا يزال ممسكا بذراعها:

«المرح والمرح! أليس هذا ما وصفت به الوضع الذي ستكون عليه السباحة في

البركة؟»

حاولت سالي ان تنتقم ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل. فتحت يدها اليمنى واخذت تضربها بقوة على سطح الماء مرسلة اكبر قدر ممكن الى وجهه الضاحك والساخر. شدها نحوه ثم رفعها قليلا وقبلها. شعرت كأنها فراشة بين يديه... هي فتاة نحيلة الى حد ما، وهو رجل قوي... واطول منها باكثر من عشرين سنتيمترا، مما ساعده على الوقوف على ارض البركة في حين كانت هي معلقة على ذراعيه فقط! آه، انه يغيظها! قبلته قصاص... واستفزاز متعمد! وعندما رفع رأسه عنها، كانت تشعر بغضب شديد ظهر جليا في احمرار وجهها وحدة نظراتها. سألته باشمئزاز وبصوت هامس تقريبا:

«الناس يراقبوننا! ألا تهتم؟»

ضحك ورد عليها بحنان وشيء من الشفقة:

«آه منك ياعصفورتي الصغيرة! اين هي الغرابة او الفظاعة اذا قبل رجل زوجته؟»

ارتفعت حدة غضبها ولكنها ظلت محتفظة بذلك الصوت المنخفض عندما قالت له:

«هذه فضيحة! انك تقدم لهؤلاء الأغراب مشهدا تمثيليا مجانيا. اتركني! دعني اذهب!»

رد عليها بهدوء بالغ:

«هل خجلك يمنعك من مشاركتي هذه النكتة، ورد القبلة بمثلها؟»

تركها... فسبحت نحو الجهة الأخرى واخذت منشفتها وتوجهت نحو جناحها لتكتشف ان لوك سبقها بلحظات. دخلا الغرفة دون ان يقول احدهما شيئا للآخر. ثم قررت ان تكون هي البادئة. فسألته بهدوء وهي تتجنب النظر الى عينيه الساخرتين:

«هل اذهب قبلك الى الحمام؟»

رد عليها بجملة تعمد فيها السخرية واثارة الاعصاب:

«مما لا شك فيه انني سأثير غضبك واجرح شعورك فيما لو اقترحت ذهابنا معا!»

انه لا يطاق! جهنمي! كم تتمنى ان تتمكن يوما من رد الصاع صاعين... ان تصدمه بشيء يقضي نهائيا على تلك النظرات الساخرة الهازئة من وجهه اللعين!

ولم تعرف ماذا دفعها في وقت لاحق الى ارتداء اجمل فساتينها وقضية اطول وقت ممكن في التزيين والتبريج. وعندما دخلت غرفة الجلوس، تأملها لوك بتقدير ظاهر ثم قال لها:

«اوه، يا للاناقة! اشتم من طريقة اعداد نفسك بانك ترغبين في تناول العشاء خارج الفندق.»

ارغمت سالي نفسها على النظر الى عينيه وردت عليه بعزيمة وثبات:

«ولما لا! اني انوي الابتعاد قدر الامكان عن اعمالي المطبخية خلال هذه العطلة القصيرة.»

«انا لم اتزوجك لمجرد انك طاهية ماهرة.»

علقت على جملته بجفاف:

«انا نعرف حق المعرفة سبب زواجك مني. وضوء الأمل الوحيد الذي يشع في الأفق هو ان هذا الزواج لن يدوم الى الأبد.»

خيم صمت مطبق عليهما شعرت معه سالي بأنها تسمع دقات قلبها. كما احست بألم في صدرها وصعوبة في تنفسها. اما لوك فقد هز رأسه بهدوء وقال:

«اني اذكر بوضوح ابلاغك بان هذا الاتفاق نهائي، لو اردت علاقة مؤقتة لما كنت بحاجة لرباط قانوني كالزواج.»

صرخت بحزن وعصبية:

«لن تكون علاقة عادية. لن تكون!»

«متأكدة الى هذه الدرجة؟ وبهذه السرعة؟»

هزت برأسها غاضبة وقالت:

«اني لا اطيقك ابدا، ولا يعجبني فيك شيء على الاطلاق فكيف يمكننا التعايش بسلام؟»

أمسك بذراعها وقال لها بهدوء وسخرية:

«تعالي يا زوجتي العزيزة! سنذهب لتناول العشاء في افخم المطاعم وارقاها،

وندع المستقبل يحل هذه المشكلة العويصة.»

كان العشاء شهيا للغاية... ومع ذلك فان انقباضها لم يخف تماما. وفجأة، ابتسم لوك وسألها:

«هل ترقصين؟»

كان الوقت متأخرا، فالساعة تجاوزت الحادية عشرة والنصف، وكانت سالي تشعر بالتعب والارهاق وتتمنى لو انه يقترح عليها العودة الى الفندق. ولكنها قررت التجاوب مع رغبته، لا لسبب الا لاثبات قدرتها على مجاراته دون ضعف او وهن. وضعت فنجان القهوة على الطاولة وردت عليه بكلمة واحدة وبلهجة توحي بعدم الاهتمام او الاكتراث.

كانت الموسيقى خفيفة وبطيئة مما يفسح له المجال بضمها اليه. ترك يدها ليضع يده على رأسها ويحنيه الى الوراء قليلا ثم يقول مازحا:

«هل قبولك محاولة لتأخير الأمر المحتوم؟ ان عينيك متعبتان للغاية وتبدين مستعدة تماما للنوم.»

توترت اعصابها ورفعت بصرها اليه قائلة بانزعاج ظاهر واحتقار واضح:

«اشك في انك ستسمح لي بالنوم!»

ثم اغمضت عينيها وسألته بعصبية وألم فائقين:

«هل يجب علي أن ادفع فائدة مركبة عن ديون والدي... كل ليلة؟»

خيم صمت ثقيل بينهما وطالت فترته حتى شعرت سالي بان اعصابها المتوترة ستدفعها بين اللحظة والاخرى الى رفع صوتها عاليا احتجاجا وتمردا. رباه، مابي! سألت نفسها بحزن بالغ، وهي تلعن مرة اخرى تلك الظروف التي دفعتها الى اتخاذ مثل هذا القرار المؤسف. انه يستفزها دائما للتفوه بكلمات مهينة ومخجلة. وانهمرت من عينيها فجأة دموع الشفقة على النفس، فابعدت وجهها بسرعة عن نظراته الفاحصة. وما هي الا لحظات، حتى شعرت به يقودها برفق وتمهل الى طاولتهما حيث دفع ما عليهما وحمل حقيبة يدها ووشاحها... وخرجا.

فتح باب جناحهما في الفندق مفسحا لها كعادته مجال الدخول قبله. وعندما اغلق الباب وراءه، استدارت سالي نحوه وتطلعت بعينيه مباشرة لتعرف ماذا

يدور خلفها من افكار ومخططات. وعندما لم تتمكن من تحليل ما تخفيه نظراته من نوايا، استجمعت قواها وقالت له بشجاعة مصطنعة:

«انا لست خائفة منك!»

انها تكذب... فجسمها يرتعش وصوتها يرتجف ومعنوياتها في الحضيض وزاد من انقباضها وتعاستها انها غير قادرة على اخفاء ضعفها امامه..و...

«يجب ان تكوني خائفة مني! ففي احدى اللحظات، وصلت حدة غضبي الى درجة خطرة كدت معها...»

ولم ينه جملته. بل تقدم منها بسرعة وامسك بكتفيها ثم ... قبلها. ها هو مرة اخرى يؤدبها باسلوبه الخاص... يعذبها بافضل سلاح لديه. رفعها بقوة وحملها الى غرفة النوم فيما كانت تحاول جاهدة التملص منه والافلات من يديه القويتين. صرخت به بعنف وهو يجردها من ثيابها:

«انك بغيض... حقير!»

رد عليها بهدوء متين:

«الاتشعي يا زوجتي الحبيبة انك تزوجت رجلا بكل ما لهذه الكلمة من معنى! انت لم تتزوجي فارا ضعيفا عاجزا يتوسل من زوجته ما هو حق شرعي ومكتسب له.»

رفسته بقوة وهي تصرخ به شاتمة:

«اللعنة عليك! انك وحش فاقد الاحساس... لا يهمك سوى...»

«أن يأخذ ما يريد، ويحصل على ما يبغي! وانا اريدك ياصغيرتي...»

وشعرت بان دفاعاتها تنهار... والمهاجم يقتحم الاسوار. ولكن العدو ليس قبيحا كما صورته لنفسها من قبل... واكتشفت مشاعر اخرى تتأجج في داخلها... ولم تعد تفكر بوعي او...

عاد شعور الازدراء والاشمئزاز بعد اكثر من ساعتين... عندما لاحظت انها مستلقية على ذراعه فيما كان يغط في نوم عميق. كرهته... واكثر من ذلك، كرهت جسدها الخائن لأنه تجاوب مع الوحش بارادة ذاتية!

٥ ـ هل تحبه؟

امضى لوك وسالي الايام الثلاثة الاخرى في نيوزيلاندا وهما يتجولان شمالا الى ان عادا الى اوكلاند مساء الاثنين. وكانت سالي تستمتع جداً بساعات النهار. اما الليالي... حاولت كثيرا التظاهر بالجفاف والبرودة والقسوة... لكنه كان دائماً يقتحم حصونها.

وصباح الثلاثاء، وفى لوك بوعده واخذها الى افخم المحال التجارية وارقاها. توقف أمام فستان في الواجهة وقال:

«هذا فستان جميل وانيق. جربيه!»

تطلعت فيه وابتسمت ثم قالت:

«هل انت جاد؟ قياسه لايناسبني.»

اخذها من ذراعها واشار الى احدى البائعات بأن تعطيها الفستان لتجربه. وعندما تأكد لها فعلا انه لايناسبها، طلب احضار فستان مماثل ولكن بحجم مناسب. وعندما شاهد سالي تنظر الى فستان آخر بشيء من الاعجاب، طلب من البائعة احضاره ايضا. احتجت سالي بغنج وتهذيب قائلة:

«لوك، لدي الكثير من الثياب! ثم... لم يعد هناك مجال لاضافة اي شيء آخر الى حقائبنا.»

«اذن، تشتري حقيبة جديدة! اذهبي الآن الى غرفة الملابس ودعيني اراك في كل فستان على حدة.»

كانت الفساتين الثلاث جميعها مناسبة جداً. ولكنها لو خيّرت بينها لكانت انتقت العباءة القرمزية. فلونها يبرز جمال بشرتها وجاذبية شعرها وعينيها. اومأ لوك الى البائعة وقال لها بتهذيب، مشيراً الى الفساتين الموضوعة امامه على الطاولة:

«سنأخذها كلها.»

ابتسمت البائعة بارتياح ظاهر وبدأت تضع الفساتين في الأكياس المخصصة لها، فيما اقتربت سالي من لوك ورفعت نفسها... وقبلته على خده قائلة:

«شكرا ياحبيبي.»

انتقلا على اثر ذلك الى مطعم احد الفنادق القريبة حيث تناولا طعام الغداء، ثم توجها بالسيارة الى فندق في بارنيل حيث وضعا اغراضهما وذهبا الى القرية القريبة للتمتع بمناظرها الريفية الرائعة. وشاهدت سالي وشاحاً محاكاً ومطرزاً باليد فلم تتمكن من اخفاء اعجابها به:

«اوه، انه جميل جدا... ويناسب عباءتك الحمراء الى حد بعيد، أليس كذلك؟»

استوضحته غير مصادقة:

«وهل تنوي ابتياعه لي؟»

«اتعترضين؟»

«لا... ولكني لم ابد اعجابي به بهدف...»

قاطعها بهدوء وهو يمازحها قائلا:

«لما لا تدخل الى المحل؟ الممر ضيق جداً وثمة اشخاص آخرون يريدون العبور.»

امضيا الساعة التالية في زيارة المحلات التجارية القليلة في قرية بارنيل، مما ادى الى اضافة بعض المشتريات الخاصة. كما ابتاعت سالي هدية لوالدها. وعادا الى الفندق لتوضيب حقائبهما لأنه كان عليهما التوجه الى المطار حوالى الرابعة والنصف.

وصلا الى سيدني قبل الثامنة بقليل، وكان كارلو في استقبالهما خارج قاعة الوصول... يا للمفاجأة، جو بالينغر ايضا وكانا يضحكان ويلوحان بايديهما في سرور وابتهاج. رمت سالي بنفسها بين ذراعي والدها بشوق وحنان، وهي

تقول:

«ابي! ابي!»

ربت على كتفها بمحبة وقال لها مازحاً:

«بالله عليك يابنتي، ماذا دهاك؟ من يراك الآن على هذه الحالة يعتقد انك امضيت في الخارج اربعة اشهر او حتى اربع سنوات بدلا من اربعة ايام.»

تراجعت عنه بسرعة وقد انتبهت لانفعالها واندفاعها المتزايدين. فابتسمت وقالت:

«انت عائلتي كلها وليس لدي غيرك.»

ضحك لوك وقال مازحاً:

«وماذا حلّ بي انا؟ هل طويت صفحتي واصبحت منسياً؟»

«وضعك يختلف عن وضع والدي.»

ابتسم وعلق ساخراً:

«ارجو ذلك ايتها الزوجة العزيزة، ارجو ذلك!»

ذكرتها تلك النبرة في صوته بأمور عدة، فنظرت نحوه ووجهت اليه ابتسامة حلوة ولطيفة ثم قالت بدلال:

«لوك، حبيبي! انك شخص فريد من نوعه.»

احنى لوك رأسه قليلا وكأنه يرحب بذلك الاطراء، الا ان عينيه فقدتا فجأة كل اثر للمرح او المزاح. اما سالي فقد حولت نظرها الى والدها وسألته بدون أي اهتمام او اكتراث لما سيكون عليه رد فعل لوك:

«ستذهب معنا الآن لشرب فنجان قهوة، أليس كذلك؟»

انها تريد القيام بأي شيء يؤخر وجودها مع لوك على انفراد في ذلك القصر الضخم. فهي تعرف تماما انه لن يتوانى عن استخدام جميع الوسائل لكي يفهمها بطريقة لا تقبل الجدل انها ليست اكثر من فتاة اشتراها لتحقيق هدف واحد. انها مضيفة وطاهية ومديرة منزل بين الحين والآخر. وفي بعض المناسبات المعينة. ولكنها في المقام الأول آلة تحمل وتلد وتربي. انها تحب الأولاد والاطفال بصورة فائقة. وكانت تحلم دائماً بان تتزوج انساناً تحبه وترزق عدداً من الأولاد. ولكن

أين هو الحب الآن، وكيف ستكون نظرتها الى ثمرة هذا الزواج البغيض؟

«لا يا ابنتي... انها ليلتكما الأولى في بيتكما ولن افسدها عليكما. ربما خلال ايام قليلة.»

وابتسم عندما لاحظ خيبة املها الواضحة وقال:

«سأقيم حفل عشاء في نهاية الاسبوع المقبل، وستحضران انت ولوك طبعاً، أليس كذلك؟»

اجابه لوك بهدوء وهو يمسك بذراع سالي ليتوجها نحو السيارة:

«شكراً يا جو. سنتصل بك لأنني قد اكون خارج سيدني.»

نظرت اليه سالي بدهشة، فابتسم بتهذيب وقال لها:

«لدي اعمال كثيرة يجب الاهتمام بها يا حبيبتي. هل نسيت ذلك؟»

ضحك جو بملء فمه ثم غمز ابنته قائلاً:

«انتهى شهر العسل!»

تألمت سالي بصمت وهي تتمنى لو انه لم يبدأ على الاطلاق. وسارت مع لوك نحو السيارة بعد ان شكرا جو على استقبالها وودعاه على امل الاتصال به في اقرب وقت.

«متعبة؟»

تطلعت الى الرجل الجالس بقربها بدهشة وقالت:

«آمل ان تكون افكاراً سارة.»

انتبهت ان كارلو بالطبع قادر على سماع كل كلمة يقولانها، فزينت جوابها بعاطفة ظاهرة قائلة:

«انا متشوقة للوصول الى البيت وافراغ جميع هذه الحقائب.»

وتمكنت من ارغام نفسها على الضحك عندما مضت الى القول:

«ارجو ان تكون هناك خزائن كافية يا حبيبي.»

لم يعلق لوك بشيء على جملتها بل امسك بيديها ورفعهما الى فمه فيما ظلت عيناه مسمرتين على عينيها كأنه يتحداها وشعرت سالي بالارتياح بعد بضع دقائق عندما اوقف كارلو السيارة امام المنزل الضخم.

تركا كارلو يهتم بالحقائب ودخلا البيت، وبمجرد وصولهما الى القاعة الرئيسية، وقف لوك ومد ذراعه نحو اليمين قائلاً:

«بالاضافة الى بضع غرف تستخدم لخدمات منزلية مختلفة ليس هناك اي شيء آخر سوى المرأب. والى اليسار توجد الغرف التي تشكل شقة صغيرة لكارلو.»

ثم امسك بذراعها وسار معها نحو الدرج العريض الذي يؤدي الى الطابق الأول وعندما وصلا الى اعلى الدرج وقف وتابع حديثه كدليل سياحي:

«شاهدت قاعة الاستقبال وقاعة الطعام الرئيسية. ولكن الجانب الآخر المحاذي للمطبخ يضم غرفتي جلوس وطعام صغيرتين حيث تجدين كافة اجهزة الترفيه والتسلية وعدداً كبيراً من الكتب. والى هذا الجانب من الدرج توجد الغرفة التي استخدمها كمكتب خاص.»

ولما صعدا الى الطابق العلوي اعربت سالي عن دهشتها الكبيرة للمساحة الضخمة المخصصة لغرف النوم. اذ كانت هناك خمس غرف اكبرها طبعاً غرفة النوم الرئيسية، التي تشكل ملحقاتها جناحاً فخماً مجهزاً بأحدث ما يمكن تصوره من اسباب الراحة. وكانت الغرفة بحد ذاتها عنواناً للجمال والأناقة والذوق الرفيع، بما في ذلك نوعية السجاد والستائر وتناغم الألوان وحسن توزيع الاضواء.

«انا متأكد انك ستجدين مساحات كافية لوضع ثيابك واغراضك!»

ثم ابتسم بسخرية واضاف:

«اذا شعرت بحاجة لاعادة ترتيب ثيابي او توزيعها بطريقة مختلفة فلا مانع لدي... شرط ابلاغي بذلك. لأني اكره كثيراً لعبة طاقية الاخفاء وبخاصة عندما اكون على عجلة من امري.»

ردت عليه سالي بلهجة باردة، فيما كانت تتخيل بانزعاج وألم النساء اللواتي شاركنه هذا السرير الضخم:

«اذا اضطررت لاحداث اي تغييرات، فسوف ارسم لك صورة مفصلة واعلقها في مكان بارز.»

«الجواب على تساؤلاتك الصامتة بسيط للغاية، لا احد!»

تطلعت فيه بذهول وهي لا تصدق اذنيها. ابتسم بخبث وأوضح وتابع حديثه

«لا احد على الأقل في هذا السرير بالذات!»

حاولت ان تتظاهر ببرود الأعصاب، الا ان احرار خديها فضحها عندما سألته بحنو:

«هل تقرأ الافكار؟»

«افكارك انت ياصغيرتي شفافة بشكل خاص يجب ان اطّلع على تطورات العمل خلال الأيام القليلة الماضية. سأدخل مكتبي لقراءة التقارير وسماع الاشرطة المرسلة لي من مكاتب الادارة. كارلو سيحضر القهوة وانا سأشرب قهوتي في غرفة المكتب، ان لم يكن لديك مانع.»

نظرت اليه بدون ان يرف لها جفن وسألته بهدوء:

«وهل سيكون لاعتراضي، ان كان هناك من اعتراض، اي تأثير على الأطلاق؟»

«يمكنك اقناعي بتأجيل هذا العمل حتى الصباح. فساعة واحدة قبل الفطور كافية جداً.»

«آخر شيء اريده هو تأخيرك عن عملك. ثم... يجب افراغ الحقائب من محتوياتها، وبعد ذلك قد اجلس لمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية.»

اخذ رأسها بسرعة بين يديه، ثم غمزها بعينه باسماً وخرج من الغرفة. ظلت سالي واقفة بعض الوقت لا تعرف ماذا تفعل، ولكنها قررت بعد لحظات ان عليها فعلا افراغ الحقائب وتوضيب الثياب في الخزانتين الكبيرتين. وبعدما انتهت من مهمتها، اخذت حماماً بارداً انعشها كثيراً. ولما تبين لها في وقت لاحق انه ما من محطة تلفزيونية تبث برنامجاً تجدر مشاهدته، اختارت احدى الاسطوانات وجلست تستمع الى بعض الانغام الحالمة. ولما شعرت بالنعاس قررت النوم على الكنبة حيث جلست. اذ ما من شيء يقنعها بالصعود الى غرفة النوم والدخول الى ذلك السرير الضخم. وبمجرد ان القت رأسها على الوسادة، برزت في مخيلتها صورة والدها التي اعادت الى تفكيرها على الفور الوضع الصعب الذي تمر فيه. وقفت في تلك الآونة لو انها كانت قبيحة! ولكنها سمعت صوتاً باطنياً يذكرها بأنها لو لم تكن جميلة لكان والدها الآن يواجه الافلاس...

عندما استيقظت بعد ساعات، تبين لها انها في ذلك السرير الكبير... بمفردها. تطلعت الى الجانب الآخر فبدا واضحاً ان لوك كان نائماً قربها طوال الليل، وانه هو بالتأكيد حملها الى السرير. نظرت الى ساعة يدها فاكتشفت ان الوقت تجاوز التاسعة. دخلت الحمام فغسلت وجهها وسرحت شعرها ثم ارتدت ثيابها وتوجهت على الفور الى المطبخ حيث استقبلها كارلو بابتسامة مهذبة قائلاً:

«صباح الخير ياسيدتي.»

«صباح الخير يا كارلو. يبدو اني تأخرت كثيراً في النوم.»

ثم اقتربت منه قليلا وقالت له وهي تشير الى مقلاة البيض التي كان يستخدمها:

«هل يمكنني مساعدتك بشيء؟»

«شكراً جزيلا، ولكن لا داع لذلك. لوك توجه الى المدينة منذ قليل بعدما شدد عليّ بعدم ازعاجك. وما ان سمعت تحركاتك في الطابق الأول حتى بدأت باعداد فطورك.»

«لم تكن بحاجة لازعاج نفسك. كان بامكاني ان اعد فطوري بنفسي.»

نظر اليها باستغراب شديد فحبست ضحكة كادت ان تصدر عنها. كان واضحاً جداً انه لم يتوقع منها عبارة كتلك التي قالتها. فهي ربة البيت وهو يعمل في خدمتها. ومع ان لوك يعامله معاملة خاصة جداً، لكنه لايزال عاملاً لديه... ولدى زوجته. جلست سالي الى المائدة وتولى كارلو تقديم الطعام والقهوة. ثم وضع جريدة الصباح قربها وقال:

«بعد ان تتناول السيدة طعامها وتنتهي من القراءة، هل لي ان اقترح عليها بان تضع جانبا كافة الثياب التي تحتاج للغسيل او تنظيف على البخار كي اتولى امرها.»

انه يتحدث الى لوك وعنه باسمه الأول، فلماذا يصرّ على التحدث معها بهذه الطريقة الرسمية؟ ربما لأنه لايعرفها منذ زمن طويل! او ربما لأن لوك طلب منه ان يناديه باسمه بدون اضافة القاب قبل الاسم او بعده! ابتسمت وقالت له:

«الا يمكنك ان تناديني سالي؟»

«نعم، ان كنت تفضلين ذلك.»

استراحت في كرسيها واضافت قليلا من السكر الى قهوتها ثم سألته بهدوء:

«هل مضى عليك زمن طويل وانت تعمل لدى زوجي يا كارلو؟»

«اعمل في خدمته منذ خمسة اعوام ولكنني اعرفه منذ فترة طويلة جداً.»

وتوقف لحظة وكأنه يستعيد ذكريات الماضي البعيد، ثم اضاف:

«منذ حوالى اربع عشرة سنة كنا نعمل معا في حقول قصب السكر في نورث كوينزلاند. وبعد بضع سنوات التقينا مرة اخرى في وايا حيث عملنا في شركة بناء واحدة. وقبل ستة اعوام اضطررت للتوقف عن ممارسة الاعمال المرهقة لأن الطبيب انذرني بأن الحر والغبار والاشغال المتعبة الشاقة تشكل خطراً على صحتي. لذلك جئت الى سيدني. وهنا ايضا شاءت المصادفات ان تجمع بيننا. عرض علي هذا العمل فقبلته بكل سرور.»

كانت سالي صامتة تستمع بانتباه واهتمام، ثم سألته:

«هل يساعدك احد في تدبير امر المنزل؟»

«نعم، هناك سيدة تحضر مرتين في الاسبوع للتنظيف وكيّ الثياب. وفضلا عن ذلك، فاني أتدبر الأمر بمفردي.»

«يمكنني ان اريحك من بعض المهام... وبخاصة فيما يتعلق بوجبات الطعام.»

ابتسم كارلو وقال لها بلطف:

«انه مطبخك يا سالي... طلب مني لوك اخبارك انكما سوف تتناولان طعام العشاء خارج البيت وان تكوني جاهزة في السابعة، لأنه يتوقع العودة حوالى السادسة.»

أوه، يبدو ان لوك مصمم على عدم اضاعة الوقت في دفعها الى حلقاته الاجتماعية! لا مانع لديها ابداً، فهي محدثة لبقة وضيفة خفيفة الظل ومضيفة ناجحة جداً. الفضل في ذلك يعود كله الى والدها. لكن الأمر الوحيد الذي ازعجها قليلا هو احتمال الاجتماع ببعض صديقاته. هل هي الغيرة؟ لا، لا، مستحيل! فهي لا تحبه على الاطلاق... بل انها تكاد لا تطيقه!

امضت سالي الساعات المتبقية من الصباح بالتجول في ارجاء ذلك القصر الفسيح وتأمل هندسته واثاثه باعجاب بالغ. وبعد تناولها غداء خفيفاً حاولت الاتصال بوالدها في مكتبه فلم تجده. كانت تريد التحدث معه، لا لسبب معين ولكن لمجرد سماع صوته والاطمئنان عليه ودعوته لتناول الغداء معها في اليوم التالي.

كانت حفلة العشاء التي اخذها اليها لوك اكبر بكثير مما توقعت. فقد حضرها حوالى عشرين شخصاً احتلوا طاولتين كبيرتين في زاوية احد ارقى مطاعم سيدني وشعرت سالي بشيء من السرور عندما سمحت لنظراتها بتأمل زوجها باعجاب. كان يبدو جذاباً الى ابعد الحدود وانيقاً للغاية. وجهه، انفه، فمه، شفتاه، عيناه، شعره، حيويته، غطرسته... هل هذه بداية...

هزت رأسها وكأنها ترفض الاسترسال في تلك المشاعر والأفكار وراحت تتأمل الحاضرين وتستمع بانتباه الى احاديثهم. وتبين لها خلال لحظات ان معظم الذكور رجال اعمال او تجار يتعاملون مع لوك بشكل او بأخر. وفجأة ابتسم لوك وسألها مازحاً:

«لماذا هذا الصمت المريب؟ ماذا يجول في هذا الرأس الجميل من افكار وآراء؟»

«النظرات المتعددة التي توجه اليّ وتحمل في طياتها الكثير من المعاني توحي لي بأنك كنت نشيطاً جداً في حياتك... الاجتماعية!»

عض على شفته بعصبية وقال لها:

«كلي قطعة الحلوى يا سالي.»

«لماذا يا حبيبي؟ ألست حلوة بما فيه الكفاية؟»

«انت، يا فراشتي، تلعبين لعبة خطرة جداً.»

«وهل يجب عليّ ان اكف عن ممارسة هذه اللعبة؟»

وقبل ان يتمكن من الرد عليها سمعا صوتاً نسائياً ناعماً يقول:

«ما هذا يا لوك! أليس من حق الاصدقاء القدامى ان يحظوا ببعض اهتمامك؟»

تطلعت سالي فوراً الى مصدر الصوت والتقت نظراتها بنظرات اغراء ساخر توجهها امرأة ذات جمال مثير وغير عادي تدعى كارميلا وكان واضحاً طوال

السهرة انها تحاول جذب انتباه لوك بشتى الطرق والوسائل. رد لوك مبتسماً:

«اعذريني يا كارميلا! فانا اجد زوجتي جذابة لدرجة لا اتمكن معها من المقاومة مهما كانت الظروف.»

ثم وضع يده على خد سالي بنعومة ظاهرة وقال لها وهو يتأمل استياءها وانقباضها اللذين حاولت يائسة اخفاءهما:

«تعالي نرقص يا حبيبتي.»

ثم وقف وامسك بذراعها وسارا الى حلبة الرقص. وعندما اخذها بين ذراعيه قالت له بعصبية بالغة:

«وما الداعي لأن تضمني اليك بمثل هذه القوة؟»

لم يرد عليها بل احنى رأسها وطبع قبلة سريعة. زاغت عيناها غضباً وسخطاً. انها كاحدى ممتلكاته... كورقة في مكتبه.. يمهرها بخاتم التملك! انها له ويريد اظهار ذلك لجميع الموجودين. انتهت الرقصة ولكنه لم يتحرك من مكانه او يحررها من قبضته. فقالت له بحدة:

«اعتقد انك الشيطان بعينه!»

«فستانك هذا يغش كثيرا... هل ترتدين اي شيء تحته؟»

ابتسمت بخفة متظاهرة بالغنج والدلال وقالت:

«طبعاً... جلدي!»

ضحك لوك فرفعت رأسها ونظرت اليه شزراً وهي تتمنى لو تتوجه اليه احدى جملها القاسية الغاضبة. الا انه قال لها بتحذير واضح:

«تمالكي اعصابك ياعزيزتي. فماذا سيقول اصدقائي اذا كشفت فجأة عن تصرفاتك العصبية الصبيانية؟»

«لم اعرف معنى العصبية وحدة الطباع قبل ان اتعرف عليك!»

ثم تطلعت حولها باشمئزاز وقالت:

«اما بالنسبة الى اصدقائك، فان اكثر من... سيدة هنا تتمنى لي الموت والزوال!»

«اوه، ياصغيرتي! هل من المعقول انك بدأت تشعرين بالغيرة؟»

«لا!»

قالتها بسرعة وقوة وهي تحاول التملص من يديه اللتين تحولتا فجأة الى قضيبين من الفولاذ. هدأت لحظة وقالت له بلهجة اقرب الى التوسل منها الى الطلب العادي:

«اريد العودة الى البيت. سئمت جداً هذه النظرات المزعجة التي تخترق عظامي بحشريتها وتكهناتها و...»

قاطعها بهدوء قائلا:

«عزيزتي سالي، انك تبالغين!»

قررت ان تصمت وان تتصرف وفق ما يطلبه او يراه مناسباً. واضطرت في الساعتين الأخيرتين ان تشارك بتهذيب في احاديث مملة ومزعجة ولما غادرا المطعم حوال منتصف الليل شعرت سالي بأن بشرة وجهها تكاد تتشقق من كثرة الابتسامات التي ارغمت نفسها على توجيهها الى هذه او تلك طوال ساعتين كاملتين. وعندما دخلا السيارة جلست في مقعدها والتصقت بالباب، مبتعدة قدر الامكان عن هذا الزوج البغيض، وظلت صامتة طوال الدقائق العشرين التي استغرقتها رحلة العودة. وهناك، ركضت بسرعة نحو غرفة النوم محاولة الهرب مما قد يحدثها به حول موضوع الحفلات لكنه وصل وراءها بعد ثانيتين وقال لها بقسوة:

«انك تتصرفين كطفلة مدللة تحتاج الى تأديب! ويبدو مع الأسف ان والدك اهمل جزءاً هاماً في تربيتك!»

«اوه، اذهب الى الجحيم!»

وشعرت ان لوك ينوي رميها على السرير وتأديبها كما يفعل الوالد مع ابنه المتمرد... واستعدت للمواجهة والغضب والسخط بلغا منها حداً انساها المنطق والموضوعية. لكن قصاصه تعدى الضرب والألم البدني الى الاذلال والعذاب النفسي، اذ شدها اليه بقوة وعانقها بعنف...

ودفعها الى البكاء. اغمضت عينيها خجلاً وألماً، وسمعته يقول:

«انا ارفض ان تصدري علي احكاماً نتيجة اوهام نابعة عن مخيلة مشحونة

بالافكار السوداء... والغيرة... والحسد!»

«لا يهمني... لا يهمني لو انك... مارست الحب... مع مئة امرأة غيري!»

«انت، ايتها الغبية الطيبة والجميلة، امرأة بجسمك وطفلة بقلبك وعقلك ومشاعرك!»

«اتمنى لو انني حقاً طفلة!»

«كي تنامي وحدك وتحلمين احلاما بعيدة؟ اوه يا صغيرتي، هل تريدينني حقا ان اصدق انك لا تستمتعين لكونك امرأة بين ذراعي رجل مثلي؟»

«هذا لا يثبت شيئا على الاطلاق... سوى انك بارع في حقل الاغراء.»

مد يده ولمس احد عروق عنقها باصبعه قائلاً:

«وهذا الذي يعكس بنبضاته القوية والمتسارعة صراعك النفسي تجاهي؟ كيف تفسرينه؟»

افلتت منه بعصبية بالغة وهي تقول:

«اوه، لماذا لا تدعني وشأني؟ لماذا لا تتركني؟ ألم تعاقبني بما فيه الكفاية؟»

ضاقت عيناه وهو يتأملها بهدوء وروية. امسك ذقنها بيده وحدق بشفتيها الدامية ثم تمتم بكلمات غير مفهومة ولكنها بدأت وكأنها شتائم يوجهها الى نفسه. ووضع اصابعه برفق ورقة على شفتيها قائلاً:

«كنت ظالماً وقاسياً معك... اعذريني! فمك جميل وناعم الى درجة لا تصدق!»

«هل من اعتراض لديك على اقامة حفلة عشاء غير رسمية هذا المساء لعدد قليل من الاصدقاء؟»

اتسعت عيناها بدهشة حقيقية وهي تتناول اللقمة الأخيرة من فطورها وقالت له بهدوء:

«لا، طبعا لا! ولكن، كم عدد الاشخاص الذين تنوي استضافتهم؟»

«ستة، بمن فيهم انت وانا. هل لديك وقت كاف؟»

«انا طاهية محترفة، ام تراك نسيت ذلك؟ بالمناسبة، هل تريد اطباقاً معينة من المأكولات ام انك تعطيني الضوء الأخضر لاعداد ما اريد؟»

«انا لست زبوناً يا سالي. هذا بيتك، وانت تقررين. اعدي قائمة بما تريدين

واعطها لكارلو. اعود في السادسة. اما الضيوف الأربعة فسأطلب منهم الحضور في السابعة.»

بمجرد مغادرته المنزل، بدأت سالي تعد لحفلة العشاء. الحفلة لن تكون رسمية، لكنها شعرت بشكل واضح بأن هذا العشاء سيكون تجربتها الأولى كربة بيت وزوجة. وعليه، يجب ان يكون العشاء ناجحاً بشكل خاص ومميز. وبعدما قررت الانواع التي ستقدمها، اعدت لائحة بالاشياء التي تريدها من المدينة وارسلت كارلو لاحضارها.

كانت هناك لذة فائقة في اعداد الطعام لحفلة عشاء تقام في... بيتها، فللمرة الاولى تتولى مثل هذه المهمة. المرات السابقة كانت جميعها مخصصة اما لزبائن كلود او لاصدقاء والدها. وهنا تكمن الأهمية القصوى لنجاح حفلتها تلك الامسية. أوه، الوقت يمر بسرعة مذهلة! ولكن كارلو اثبت انه مساعد ناجح وحليف قوي. واتفقا اثناء اعدادها انواع الطعام المختلفة ان يتولى هو خدمة الضيوف كي تتفرغ لمحادثتهم وتأمين طلباتهم والسهر على راحتهم. وقررت أن ترتدي العباءة الحمراء التي اشتراها لها لوك في اوكلاند.

من هم الضيوف الأربعة يا ترى؟ لوك لم يذكر اي اسماء او يتحدث عن اي علاقة او صلة. سرّحت شعرها ثم وقفت لحظة تتردد بين ربطه وراء مؤخرة رأسها او تركه حراً فضفاضاً متدلياً فوق اذنيها ورقبتها وكتفيها...

«دعيه متدلياً بدلال على كتفيك! لا تربطيه... ستبدين كمديرة مدرسة ابتدائية!»

تطلعت وراءها لتشاهد نظراته المرحة. كان لوك قد استبدل بزته التي يرتديها الى المكتب بثياب عادية مريحة اضافت اليه جاذبية ملحوظة. امسك بكتفيها برفق وقبلها بنعومة على عنقها، فشعرت برغبة جامحة لأن تستدير نحوه وتعانقه لكنها لا تحبه. فلماذا يخالجها الآن مثل هذا الشعور القوي تجاهه؟ لماذا تريده أن يضمها بين ذراعيه القويتين؟ انها بلا شك تواجه في تلك اللحظات موجة من الجنون او الهوس! انحنت بسرعة بحجة البحث عن حذائها، ولكنها كانت في الحقيقة تحاول تجنب نظراته وطرد تلك الافكار الغريبة من رأسها. ثم سألته بهدوء:

«من هم ضيوفنا الليلة؟؟»

رد عليها بهدوء مماثل:

«زميلي بيتر هامشير وزوجته ايلاين، رولف اونغر وكارميلا اورتيغا . انت التقيت كارميلا، على ما اعتقد.»

اوه، طبعاً طبعاً! ومن نسي ذلك الجمال المثير والاغراء الفاتن اللذين لا يقدر على مقاومتهما سوى قلة من الرجال! وقررت سالي بصمت انه لا داع لمحاولة الظهور بمظهر المنافس او الند لهذه الضيفة بالذات.

«انك تبدين رائعة الجمال ياصغيرتي.»

نظرت الى زوجها بشيء من العصبية وقالت:

«لماذا تصرّ على ادخال هذه الكلمة في معظم احاديثك معي؟ انا متوترة الأعصاب بما فيه الكفاية حتى قبل ان تصفني بانني صغيرة!»

ابتسم بمودة وقال لها:

«اوه يا حبيبتي! انها تسمية استخدمها لتدليلك.»

ثم مدّ يده وراح يداعب شعرها الاشقر الناعم فيما كان يمضي الى القول:

«اني اؤكد لك انني اعتبرك اي شيء الا طفلة صغيرة.»

وما ان وضع يديه على كتفيها ليديرها نحوه حتى افلتت منه ضاحكة وهي تقول:

«اعتقد انني بحاجة لحبة مهدئة، لأن اعصابي اصبحت على شفير الهاوية.»

امسك بمرفقها وقال بلهجة مماثلة:

«اذن لننزل الى غرفة الاستقبال، ففيها جميع العقاقير الضرورية لمثل هذه الاوقات.»

عندما انهى الجميع الطبق الرئيسي، جمع كارلو الصحون وذهب لاحضار الحلوى والفاكهة، ابتسمت كارميلا وقالت:

«انه طعام شهيّ للغاية لم اتذوق مثله حتى على ايدي طهاة مهرة.»

نظر لوك الى سالي موجهاً اليها ابتسامة محبة وتقدير وقال لكارميلا بدون ان يلتفت نحوها:

«يمكنك توجيه الثناء الى زوجتي.»

«سالي؟ انها نعمة السماء يا عزيزي لوك! انك فعلاً محظوظ جداً لأنك وجدت زوجة تطبخ بمثل هذه المهارة... بالرغم من حداثة سنها.»

نظرت اليها ايلاين هامشاير بتعاطف ومساندة، فيما كان لوك يضحك والرجلان الآخران يبتسمان. اما سالي فكانت تغلي حنقاً وغضباً. طلبت من زوجها ان يعطيها برتقالة اخرى مع ان الاولى كانت اكثر من كافية. انها تريد الهاء نفسها قليلاً... تبريد اعصابها المتوترة... التخفيف من حدة غضبها وانفعالها! تباً لهذه المرأة اللعينة انها قطة شرسة!

انتقل الجميع الى قاعة الاستقبال المحاذية ولاحظت سالي على الفور ان كارميلا تجنبت الوقوف قرب ايلاين وفضلت عوضاً من ذلك الانضمام الى الرجال الثلاثة.

«هل لديك اولاد يا ايلاين؟»

ابتسمت الضيفة الهادئة بتهذيب وردت قائلة:

«صبيّان في سن المراهقة، يسعداني ويتعساني. ومراقبتهما بالسرعة التي ينفذان بها كل شيء تأخذ معظم وقتي... وطاقتي!»

«هل انت و بيتر تعرفان لوك منذ زمن طويل؟»

«منذ سبع سنوات.»

ثم نظرت باتجاهه واضافت:

«بيتر يشتغل مع لوك.»

«آسفة، لم اكن اعلم ذلك.»

«لا داع للاعتذار يا عزيزتي. رولف ايضاً يعمل لدى زوجك، وكذلك كارميلا... ولكن بطريقة غير مباشرة الى حد ما.»

لم تعلق سالي بشيء على الفور، فمضت ايلاين الى القول وهي تبتسم بمودة وحنان:

«انكما لم تتزوجا الا منذ فترة وجيزة، واتصور ان ابلاغك عن مساعديه وموظفيه لم يكن ذا اولوية قصوى في رأس لوك.»

كانت سهرة ناجحة بكل ما في الكلمة من معنى، مع ان سالي طبعاً كانت ستشعر براحة اكبر وانشراح افضل لو اقتصرت الدعوة على الزوجين الطيبين بيتر وايلاين والشاب المهذب الهادىء رولف. ومما زاد بحدة غضبها الصامت، محاولات كارميلا المتكررة والمتواصلة طوال السهرة لجذب انتباه لوك الذي بدا انه لم يعرها اي اهتمام على الاطلاق. وبمجرّد ان غادر الضيوف الأربعة منزلها شاكرين حسن الضيافة والمعاملة ومتمنين ليلة سعيدة وهانئة، ضمها لوك الى صدره قائلاً:

«شكرا لك يا زوجتي الحبيبة على هذا العشاء الرائع.»

ابتسمت له برقة وسبقته نحو الدرج. وفي منتصف الطريق توقفت لحظة واستدارت نحوه ثم قالت بتشديد واضح قبل ان تتابع الصعود:

«يسرني كثيراً ان اكون مفيدة في بعض المجالات..»

دخل لوك غرفة النوم واغلق الباب وراءه وقال:

«يا عزيزتي سالي، السخرية لا تناسبك مطلقا.»

وبدأ يتقدم نحوها لهرعت نحو الحمام محاولة التخلص منه. ابتسم وقال:

«اذهبي ياصغيرتي. ولكن ان لم تكوني في السرير خلال عشر دقائق سأحضرك من الحمام بنفسي.»

استدارت غاضبة لتواجه عينيه الماكرتين ولتقول له بانفعال:

«اهذا كل ما يمكنك التفكير به؟»

«وهل تفضلين ألاّ اشعر بمثل هذه الرغبة نحوك يا حبيبتي؟»

اغلقت باب الحمام بقوة... لم يعد من السهل ابداً تحقيق اي انتصار عليه او كسب اي معركة معه. ومما زاد في حيرتها انها لم تعد متأكدة مما اذا كانت تريد بعد الآن ان تحاربه على الاطلاق...

اتصلت بوالدها صباح اليوم التالي وذهبا ظهراً الى احد المطاعم القريبة لتناول الغداء معاً. وفجأة شعرت سالي وهي تجلس في كرسيها بشيء من الذنب. لاحظ والدها ذلك فقال لها بلهجة تجمع بين جدية القلق ومزاح التخفيف عن الألم:

«تبدين كطفلة صغيرة ارتكبت خطأ. هل تريدين الاعتراف؟»

«انفقت كمية كبيرة من مال زوجي... فستان سهرة جديد، واحذية، و...»

«يبدو لوك زوجاً متساهلا ومتسامحاً. فلماذا سيضايقه شراؤك بضعة اشياء ضرورية كهذه؟»

هزت برأسها وقالت لنفسها ان شراء هذا الفستان بالذات لم يكن ضرورياً ابداً. فهي ليست بحاجة اليه... اشترته بدافع الانتقام من لوك والثأر لكرامتها. بدأت الآن تشعر بالندم على تلك الخطوات التي اقدمت عليها، وشعرت بالاشمئزاز من ذلك التصرف الذي حملها على انفاق اكثر من مرتب شهر كامل على فستان واحد. ثم... قررت ان تنسى الماضي وتفاصيله الثانوية الهامشية. وقالت:

«سلمني لوك هذا الصباح كمية كبيرة من المال لشراء عدة اشياء. سوف نمضي عطلة عيد الميلاد مع شقيقته وعائلتها وهو يحب القيام بدور الخال الكريم والحنون اعطاني قائمة اطول من ذراعي بما يريد.»

ثم نظرت الى والدها بشيء من الحزن وسألته:

«وانت يا أبي، ماذا ستفعل في عطلة عيد الميلاد؟ لن اشعر بالراحة بعيدا عنك وبخاصة في مناسبات عاطفية كهذه.»

«سالي! مكانك يا ابنتي مع زوجك وليس مع والدك.»

ثم انحنى قليلا فوق الطاولة وامسك بيديها بحرارة ومحبة قائلاً:

«سأذهب ليلة الميلاد الى النادي حيث امضي بضع ساعات بين الاصدقاء والزملاء. اخبروني بان الطهاة هناك يعدون عشاء رائعاً. ستكون هناك اعياد ميلاد اخرى يا حبيبتي، فلا تحزني مسبقاً.»

ثم ابتسم وغيّر الموضوع بسرعة عندما قال:

«الآن اخبريني كيف وجدت نيوزيلاندا؟ ام انكما امضيتما معظم الوقت في شهر عسل حقيقي... تكتشفان بعضكما بعضاً.»

ثم ابتسم وغيّر الموضوع بسرعة عندما قال:

«الآن اخبريني كيف وجدت نيوزيلاندا؟ ام انكما أمضيتما معظم الوقت في شهر عسل حقيقي تكتشفان بعضكما بعضاً.»

«ماذا تظن اننا فعلنا؟»

«انك سعيدة يا سالي، أليس كذلك؟»

شدد على كلمة سعيدة فازداد توتر اعصابها. الوضع اسوأ بكثير مما توقعته لكنها استجمعت قواها وردت عليه بالقول:

«طبعا يا ابي، طبعاً؛ وهل يمكنني ان اتمنى او احلم باكثر مما حصلت عليه؟»

تنهد والدها وقال بهدوء وحنان:

«يجب ان اعترف لك بانني كنت متوتر الاعصاب عندما انزلت خبر الزواج ع رأسي كالصاعقة. كان من المستحيل الا اكون متشككاً في بداية الأمر ولكنه عندما فكرت بالموضوع ملياً تبين لي بوضوح سبب تعلق كل منكما بالآخر. ثم لم تكن ثمة حاجة لخطوبة طويلة الأمد... و...»

توقف لحظة ثم ابتسم واضاف قائلا:

«لوك مشهور بأنه يحصل دائماً على ما يريد. واعتقد انك لا تدركين بعد تما ضخامة مؤسسته وثباتها في الاسواق العالمية. زوجك يا حبيبتي رجل ذكي وما للغاية.»

«كتبت الى والدتي عن زواجي. اعد نفسك لتلقي مكالمة هاتفية من نيويو، خلال ثلاثة ايام تقريباً»

ثم ضحكت بخبث مصطنع واضافت:

«انها تريد التأكد من ان ابنتها لم تقدم على اي خطوة غبية او سخيفة. اعطي رقمي ايضاً... والا فانها قد تفكر بضرورة الوصول الى سيدني على متن او طائرة تغادر الولايات المتحدة!»

ضحك جو بالينغر من اعماق قلبه ثم قال

«حسب معرفتي باميلي فقد تفعل ذلك.»

وسحب منديلاً من جيبه ومسح عينيه ثم اضاف:

«اوه! اعتقد ان احدنا يجب ان ينذر لوك بشأن والدتك العزيزة!»

«لما لا تدعها تفاجئه؟ في اي حال، فانها قد لا تأتي مطلقاً... خصوصاً اذا اكتف بالاجوبة التي ستحصل عليها هاتفياً.»

«هذا امر مستبعد الى حد كبير. أليس كذلك؟»

«بالضبط.»

«ابتها الابنة الحبيبة! يجب ان اعود الى عملي. حصلنا فجأة على عقدين جديدين ويتحتم علي دراسة تفاصيلها بدقة قبل عرضها على لوك للموافقة النهائية.»

جمد فنجان القهوة في يدها قبل ان يصل الى فمها وسألته بدهشة:

«لوك؟ وما علاقته بالموضوع؟»

«الم تعرفي ما حصل؟ اشترى لوك حصة كبيرة في شركتي واصبحنا نتقاسم العمل والأرباح. انا اشرف على العمال والمعدات وهو يتولى الأمور المالية. وبالاضافة الى حقي في الربح.»

حللت ما سمعته بهدوء وتمعّن، ثم قالت لوالدها بعد لحظات:

«انه لا يبحث معي امور العمل هل... هل تعجبك هذه الترتيبات الجديدة؟»

«انها تريحني من القلق والمتاعب. وكلما تعمقت في دراسة الموضوع كلما لاحظت كم اني محظوظ لوجود شخص مثل لوك يدعمني ويساندني. انه عبقري في الأمور المالية.»

وتطلع مرة اخرى الى ساعة يده ثم هبّ واقفاً وهو يقول:

«الآن يجب ان اذهب تأخرت بما فيه الكفاية. لا تنسي حفلة العشاء مساء الجمعة المقبل.»

«دعني اهتم باعداد الطعام لهذه الحفلة! يمكننا اعتبار هذه العشاء كأنه عشاء الميلاد قبل موعده. ارجوك، اريد ذلك من كل قلبي! لوك لن يمانع ابدا.»

وقالت لنفسها انها ستعد ذلك العشاء لوالدها... وافق لوك او لم يوافق.

«انها فكرة رائعة. اتصلي بي عندما تحصلين على موافقة لوك.»

ولكن لوك كان عنيداً في رفضه عندما واجهته بالموضوع. وشعرت سالي انها ستعود الى احتقارها السابق له.

«لماذا يا لوك؟ اين هي المشكلة الصعبة والفارق الكبير في ان نصل معاً الى شقة والدي او ان اسبقك الى هناك بساعات قليلة؟»

استدار نحوها وقدم لها فنجان القهوة بعدما اضاف قليلا من السكر. وقرأت في

عينيه تصميماً على عدم السماح لها بتحقيق اي انتصار في هذا الموضوع. وقال لها بجدية بالغة:

«حفلات العشاء التي يقيمها والدك هي شأن خاص به. انا نقبل دعوته ولكنني لن اسمح لك بتولي مسؤولية الاعداد لهذه الحفلات. مفهوم؟»

«هذا تعصب لا ضرورة له! انك ايضا تتعمد تعقيد الأمور!»

«تعصب! تعقيد!»

نظرت اليه غاضبة ولكنه لم يتحرك. فقالت:

«سمحت لي بأن اعد العشاء لضيوفك... لضيوفنا. ولكنك ترفض ان اقوم بالمهمة ذاتها لوالدي. لا ارى كيف ستمنعني عن ذلك!»

«حقا!»

ازعجها رده المقتضب وعناده اللامنطقي. وتأملت «سالي» هذا الرجل الذي تسر لمقارعته ومحاربته. وقالت لنفسها انه فعلا خصم جدير بالاعجاب وقررت بصمت مواصلة المعركة. فسألته متحدية:

«وماذا ستفعل؟ تحبسني في غرفتي؟»

«اذا لم تتوقفي عن التصرف كطفلة، فاني احذرك بانني سأعاملك كطفلة.»

«اوه! وماذا يعني ذلك؟ هل سترسلني الى الفراش بدون عشاء... او ربما تمنعني من مشاهدة التلفزيون اسبوعاً كاملاً؟»

نظر اليها بسخرية وخبث وقال منذراً:

«لا هذه ولا تلك! ولكن يدي ستكون قاسية جداً على مؤخرتك الجميلة! تأكدي من انني قد افعل ذلك يا «سالي»!»

لم تشك ابدا في انه يعني ما يقول... أوه، الوحش!

«لو تجرأت حتى على لمسي، فانني سوف... سوف...»

توقفت عن اتمام جملتها وتراجعت قليلا الى الوراء لأنه تقدم منها كثيراً بحيث اصبحت في متناول يده. ولكنه ابتسم وقال لها بهدوء:

«سيكون العشاء جاهزا خلال دقائق.»

«تغيير الموضوع لن يغير رأيي.»

«الحديث عن ذلك الموضوع انتهى منذ بعض الوقت، ياصغيرتي!»

لم تتمكن من الاستمرار في السيطرة على اعصابها، فصرخت بوجهه ثائرة محتجة:

«اوه، بحق السماء! توقف عن التصرف معي كسجان او كأنني قطعة قماش بالية! انا انسانة لي حقوق بقدر ما عليّ من واجبات. ولن اقبل بان يلاحقني زوج مستبد طاغية بالسوط في كل صغيرة او كبيرة ومع كل شاردة او واردة! لن اقبل!»

«اذن، استعدي لتحمل النتائج والمضاعفات يا زوجتي العزيزة.»

جلست على كرسي قريب وقالت له باشمئزاز واضح:

«لا اعتقد اني سأتحمل الجلوس معك الى طاولة واحدة. اضيف الى ذلك انني فقدت شهيتي.»

«ولكنك ستأكلين! سوف اصرّ على ذلك!»

«طبعا! يجب ان تهتم كثيراً باطعامي وتغذيتي لأجل... الوريث! يجب ألا ننسى الغرض الوحيد من كوني زوجة «لوشيانو اندريتي»!»

اغمض عينيه وقطب جبينه فشعرت «سالي» وكأنه نمر متوحش يتحفز للانقضاض على فريسته. وراحت تتأمله فيما مد يده ووضعها على بطنها قائلاً:

«مضى على زواجنا اسبوع كامل... اي ان الاحتمال لابأس به بان إبني بدأ يتكون.»

«ستكون محظوظا جداً!»

ابتسم بمكر وسألها بدون ان يرفع يده عن بطنها:

«وهل تتمنين ان ارزق بنتاً؟»

«لو كان الأمر بيدي، لحملت لك عدة بنات في وقت واحد! ولكني سأصلي كي ألد ابنا واكون بالتالي قد وفيت ديوني. وعند ذلك، افرّ من هذا السجن الكبير.»

«وهل يمكنك التخلي عن طفل تحملينه في احشائك تسعة اشهر؟ انه طفلي، نعم! ولكنه طفلك انت ايضا يا «سالي»! كيف ستدعينه ينمو ويكبر بدون ان تشاهديه وان تكوني قربه، وبدون ان تعرفي شيئاً عن حياته وصحته... عن

سعادته وتعاسته...!»

اتسعت عيناها وعكستا النزاع الداخلي القاسي الذي اثارته كلماته الحنونة والرقيقة. نظرت اليه وكأنها فقدت القدرة على الكلام. وبعد فترة طويلة عاد اليها صوتها فصرخت به بانفعال بالغ والدموع تطفر من عينيها:

«اللعنة عليك يا لوك اندريتي! اللعنة عليك! اذهب الى الجحيم!»

واستدارت بسرعة لتفر من الغرفة، فأمسك بها بقوة مانعاً اياها من متابعة سيرها. نظرت اليه بغضب وقالت:

«لا يمكنني ان آكل... الطعام سيعلق في حلقي.»

«يجب ان تأكلي شيئاً، والا فانك ستصابين باعياء شديد.»

أكلت كمية قليلة جداً من الطعام الشهي الذي اعده كارلو وقررت الانسحاب الى غرفة النوم. سألها لوك اذا كانت ترغب في شرب القهوة فأجابته نفياً وغادرت قاعة الطعام. ولما صعدت الدرج وتأكد لها ان لوك لم يلحق بها، ركضت بسرعة نحو غرفتها واغلقت الباب وراءها لتبتعد ولو لفترة قصيرة عن ذلك الرجل البغيض الذي اضطرتها الظروف للزواج منه.

جلست على حافة السرير كئيبة حزينة وهي تشعر بألم حاد يعتصر قلبها. هل تبكي؟ هل تصرخ... وتطلق العنان لغضبها وسخطها؟ تمددت على السرير وكلماته ترن في رأسها كالصدى... كناقوس خطر... كصوت بعيد! وحملها ارهاقها النفسي على النوم رغماً عنها بدون ان تدري. وتحولت افكارها المضطربة الى عقلها الباطني... والى كابوس مزعج فصرخت بقوة وانفعال... فاستيقظت... وشعرت بان وسادتها مبللة من كثرة البكاء.

الظلام يلف الغرفة! مرت لحظة في بادىء الأمر وهي تجهل مكان وجودها. رفعت يداً مرتعشة واضاءت المصباح الكهربائي القريب منها ثم دفنت وجهها بين يديها... وبكت. فتح الباب، وسمعت لوك يقول لها بلهفة بعد ان وصل الى منتصف الغرفة:

«بحق السماء! سالي، ما بك يا حبيبتي؟!»

هزت رأسها واجابته بهدوء وهي تحاول اخفاء ضيقها وانقباضها:

«لا شيء. كنت احلم. هذا كل ما في الأمر.»

نظر اليها بحنان واهتمام وقال:

«بدا لي من صرختك القوية انه كابوس اكثر مما هو حلم عادي. هل تريدين فنجاناً من القهوة؟!»

«لا اريد شيئاً. اذهب ودعني لوحدي.»

ثم وقفت وتوجهت الى الحمام علّ الماء البارد يوقظها وينعشها قليلاً. ولما عادت الى الغرفة بعد حوالي عشر دقائق، وجدت لوك واقفاً قرب السرير يحمل بيده كوباً من الماء وحبة مسكّنة. وبدا انه مستعد للنوم لأنه كان قد خلع ثيابه واكتفى بارتداء سروال قصير نظراً لاشتداد الحرارة تلك الليلة.

«لا اريد حبوباً مسكنة.. انها تزعج معدتي.»

«انها حبة ذات مفعول خفيف جداً، ولكنها قد تساعدك قليلاً على النوم بارتياح. هيا، تناوليها!»

«واذا رفضت، فانك ستمسك بأنفي وترغمني على ابتلاعها!»

«انه احتمال وارد.»

«انك... انك لئيم جدا يا لوك!»

«مما لا شك فيه انك تتمنين لو ان نظرك لم يقع ابدا على مثل هذا الوحش الكاسر. مسكينة انت يا سالي! مكبلة بالسلاسل والقيود الى الشيطان نفسه. أليس كذلك ياعصفورتي؟!»

واقترب منها وهو يرفع الكوب والحبة الى فمها، ثم قال لها بلهجة الآمر:

«هيا، تناوليها واشربي وراءها بسرعة.»

ولم تجد صفة جديدة تصفه به، فاكتفت بالتنهد فيما كان لوك يضعها في السرير بهدوء وروية. وقبل ان تستسلم للنوم، شعرت انها تحشر نفسها قربه وتلتصق به واضعة رأسها على صدره. يا للسخرية ويا للعجب! انها تشعر بالأمان والسلام والطمأنينة بين ذراعي الرجل الذي اعلنت انها لا تحبه ... بل تكرهه!

٦ ـ الصديق القديم

«سوف نتعشى الليلة خارج البيت. سأعود خلال ساعتين تقريباً»

خرج لوك وهو يرتدي ثياب الرياضة ويحمل مضرباً وعلبة تضم اثنتي عشرة كرة. سيذهب الآن الى النادي المجاور حيث يمارس كرة المضرب هوايته المفضلة لم تزعجها فكرة تناول العشاء في الخارج، ولكنها تضايقت كثيراً لأنه لم يسألها اذا كانت تريد مرافقته الى الملعب. فلعبة كرة المضرب هي احدى الهوايات التي تتمتع بها الى حد كبير، وكانت تود لو انه طلب منها ان تلعب ضده كي تثبت له مقدرتها.

ارتدت ثيابها وتزينت وتبرّجت... وجلست تنتظر. ولما دخل لوك وشاهدها قال لها باسماً:

«سوف يتهمونني بأنني اخطف المراهقات.»

نظرت اليه بهدوء وتظاهرت أنها لم تفهم قصده. فتضايق واوضح لها ببرودة:

«تبدين وكأنك في السادسة عشرة من عمرك.»

«وكأن احداً لم يقبّلني من قبل!»

«انك سليطة اللسان ياصغيرتي. هل تعتقدين ان تصرّفي معك هو احد الاسباب لذلك؟»

تأملت وسامته واناقته باعجاب صامت ثم سألته بهدوء متجنبة اي احتكاك او شجار لا داع لها:

«هل امضيت وقتاً ممتعاً في النادي؟»

«أ، هذه هي المشكلة اذن! لم اعرف انك تتضايقين الى هذه الدرجة عندما ابتعد عنك!»

«لا، اني لا اتضايق ابداً.»

ثم حملت وشاحها وحقيبة يدها عن السرير، واضافت:

«كان سيسرني لو انك طلبت مني مرافقتك الى النادي، لأنني احب كثيراً ممارسة رياضة كرة المضرب... ليس بالضرورة معك انت بالذات!»

«ولما لا؟ هل تخشين ان اهزمك؟»

«انك اقوى مني جسدياً وتتمرن باستمرار. فما هي فرصي في التفوق عليك؟»

«اذن تحبين هذه الرياضة وتمارسينها؟ حسناً ايتها الحبيبة: ما رأيك في ان نلعب معا بعد ظهر غد؟»

«لما لا!»

قبلت بسرعة وسرور وهي تمني النفس بالمفاجأة التي ستعدها له على ارض الملعب. طبعاً سيفوز... ولكن ليس بالسهولة التي يتصورها! فهي ستبذل اقصى ما باستطاعتها كي يواجه قبل انتصاره أكبر صعوبة ممكنة! سوف يتعب كثيراً للتغلب عليها... وسيعرف عندئذ انها ليست خصماً ضعيفاً يمكن ابتلاعه بدون مقاومة عنيفة!

كان المطعم فخماً وراقياً، وكانت تلك المرة الأولى التي تذهب فيها سالي اليه. وبعد بضع دقائق من وصولهما، انضم اليهما ثلاثة رجال وزوجاتهم. وقد اثبتوا جميعا انهم اناس محترمون ومهذبون، ويحدثون لبقون، ويتمتعون بثقافة عالية واطلاع واسع. كذلك كان العشاء رائعاً لدرجة ان سالي تمنت لو انها تتمكن من معرفة الطريقة التي اعد بها.

كان لوك منذ بداية السهرة نجم الحفلة بدون منازع. وقررت سالي ان تحلل شخصيته وتصرفاته بتجرد وموضوعية. وتبين لها بعد لحظات من التفكير والتأمل انها اصبحت تجده انساناً محبباً، طيب المعشر، وكريم النفس. انها مجنونة! لا، فهناك بعض منها يتمنى لو انها تلتقيه الآن للمرة الاولى. ولكن ماذا تفعل

بمشاعر الاحتقار والكراهية نحوه؟ حاولت ان تؤنب نفسها لأن قسماً من مشاعرها تجاهه بدأ يتحول الى التعاطف. ولكنها لم تفلح. انه يجذبها بقوة... ويحرقها كالفراشة: يمكنها ان تكرهه بكل جوارحها... ولكن ما عليه الا ان يلمسها حتى تذوب وتضيع. هل هناك انفصام في الشخصية؟ كيف سيكون شعورها اذا احبها لوك اندريتي وعشقها؟

«هل ترقصين معي يا حبيبتي؟»

رفعت سالي رأسها بذهول لتجد لوك واقفاً قربها وعلى ثغره ابتسامة غريبة. وقفت ووضعت يدها بيده بدون ان تدري لذلك سبباً. رقصا بعض الوقت بدون ان يحدث احدهما الآخر ولكنه بدا ان مشاعرهما توحدت فجأة وصارت الروح تناجي الروح. وشعرت بذراعيه تشدانها نحوه، ولكن تلك السعادة الروحية لم تدم طويلاً. وشاء حظها ان تلتقي بشخص اعادها الى الأرض بقوة وعنف. وتساءلت سالي بألم عما اذا كانت الأقدار ام الصدف حملتها على الذهاب الى الحمام لتتأكد من زينتها... ولتلتقي الفتاة المزعجة شانتريل.

«اوه، انظروا من اتى! اتطلع نحوك منذ اكثر من ساعتين، ولكني اشك في انك لاحظت وجودي. فيليب يكاد ينفجر غضباً وقد وصلت به الغيرة الى درجة الغليان.»

شعرت سالي بان قلبها يغوص في بحر من الانقباض والانزعاج. يا لحظها التعس! فمن بين عشرات المطاعم المنتشرة في تلك الناحية من مدينة سيدني، لم يختارا سوى هذا المطعم بالذات! سيطرت على اعصابها وردت بهدوء مصطنع:

«الاضاءة خفيفة الى حدّ ما يا شانتريل.»

«يبدو انك تتمتعين بالحياة الزوجية، أليس كذلك يا عزيزتي؟ كيف لا، وانت متزوجة من رجل وسيم وشيق مثل لوك اندريتي!»

ثم ضحكت بصوت عال ووجهت الى سالي نظرة شفقة وهي تسألها:

«أليس من قبيل الصدف النادرة ان تتحسن اعمال والدك بقدرة قادر وبهذه السرعة المذهلة؟ كان المسرح معداً بطريقة لبقة... فتاة فقيرة وجميلة تواجه صعوبات جمة، وفارس احلام غني ووسيم يهب لنجدتها وانقاذها! آه! ولكني

متأكدة انه لم تكن لديك اي اوهام بان لوك تزوجك نتيجة حب جارف. ألست محقة في ذلك؟»

ارتفعت حدة غضبها وكادت ان تتصرف بانفعال وعدم روية. ولكن ذلك هو بالضبط ما تهدف اليه شانتريل من وراء استفزازها المتعمد. ضبطت اعصابها وقالت لها بهدوء وبرودة:

«يبدو انك مهتمة الى حد كبير بأمور لا تخص احداً سوانا، زوجي وانا فقط.»

«انه رجل لا يمكن لطفلة صغيرة مثلك أن ترضيه وتمسك به. بضعة اسابيع — او ربما بضعة اشهر وسيشعر بالضجر والملل. وعندها سيبدأ في البحث عن الاكتفاء والسلوى في مكان آخر.»

«وتأملين في ان يكون ذلك معك انت؟»

تجاهلت شانتريل السؤال المحرج بأن تطلعت الى المرآة الكبيرة ثم سألت سالي بدون ان تنظر اليها مباشرة:

«ألا يزعجك ان تاريخ لوك حافل بعشرات المغامرات العاطفية؟»

«ولماذا يزعجني ذلك؟ كانت له علاقات لا تعد ولا تحصى، ولكنه تزوجني انا. هذا يثبت عدة امور، أليس كذلك؟»

عادت شانتريل الى قاعة الطعام وهي تضحك، ولكن سالي لم تنتبه لضحكها. وقبل ان تصل الى الطاولة التي يجلس حولها لوك والاصدقاء الستة، احست بيد تمسكها بذراعها وصوت يناديها باسمها:

«سالي!»

تطلعت بسرعة الى مصدر الصوت وهي لا تصدق بأن لفيليب الجرأة على اللحاق بها او اعتراض طريقها على هذا النحو. تظاهرت بالهدوء وعدم الانفعال وحيته بتهذيب قائلة:

«مرحبا فيليب. هل هناك اي مشكلة؟»

«لماذا اقدمت على مثل هذه الخطوة، بحق السماء لماذا؟ كنت بالتأكيد تعرفين انني سأساعدك لو انك منحتني بعض الوقت لأفكر بالطريقة الملائمة.»

تأملت وجهه الجميل ودلائل الغضب الواضحة فيه، وتعجبت كيف انها لم

تلاحظ تلك الدلائل من قبل. فبالمقارنة مع لوك، يبدو فيليب شاباً ضعيفاً متردداً لا يعرف طعم الاقدام والجرأة. حاولت افلات ذراعها من يده، فشد قبضته وهو يقول بلهفة:

«الا يمكننا الاجتماع في مكان ما... حول طاولة غداء، مثلاً؟ هناك عدة امور يجب ان نبحثها سوية.»

ثم جال بنظره في ارجاء تلك القاعة الكبيرة وشدها نحوه قائلاً:

«الافضل ان نرقص!»

حاولت تخليص ذراعها فلم تفلح. نظرت اليه وهي تشعر بأنها ستنفجر غضباً وانها قد تصفعه بين لحظة واخرى.

«شكراً، ولكني لا اريد ان ارقص. كما انه ليست لدي اي نية على الاطلاق لملاقاتك في اي مكان او زمان.»

«اكاد اجن كلما تصورتك بين ذراعيه... وفي سريره. انك لا تعرفين ماذا فعلت بي يا سالي. اتركيه. ارجوك... اتوسل اليك! مهما...»

«ان لم تتركني في هذه اللحظة بالذات، فسأصفعك.»

«تباً لك من... فاسقة! اريد...»

«كلمة اخرى يا ماتريتغ و...»

جاء هذا التحذير الجاد بلهجة ناعمة ولكنها توحي بالصلابة والخطر. تطلعت سالي بسرعة جانباً لتشاهد لوك واقفاً على بعد بضعة سنتيمترات منها. كانت نظراته باردة لا يعرف احد ماذا تخبيء وراءها، الا ان شفتيه كانتا تتحركان بعصبية افزعتها. تنحنح فيليب وقال بهدوء:

«سالي وانا كنا نتحدث.»

رفع لوك احد حاجبيه وقال له بتهكم:

«ما سمعته قبل لحظات لا يمكن وصفه بمحادثة لطيفة ومهذبة.»

احمر وجه فيليب وقال، بعد ان استجمع كافة قواه وشجاعته:

«اللعنة يا اندريتي! اني احبها!»

«وماذا يدفعك الى الظن باني انا لا احبها!»

... شهرة في مجال المغامرات العاطفية!»

...

... لوك باستهزاء واضح، ثم امسك بذراع سالي وقال:

... يا ماتريتغ!»

... وجها الى طاولتهما وكانت سالي تلعن حظها لتلك الليلة. اولاً شانتريل ثم فيليب... ولم تصدق ان فيليب يمكن ان يكون سيئاً ومزعجاً الى هذه الدرجة. وحاولت جاهدة الاشتراك مرة اخرى في الاحاديث اللطيفة التي كان يتجاذبها الحاضرون ولكنها لم تتمكن. دعاها كل من الرجال الثلاثة الى الرقص بعد استئذان زوجها، كما فعل لوك مع زوجاتهم. ورقصت ايضاً اكثر من مرة مع لوك نفسه... الا انها ظلت متضايقة، ولم تشعر بشيء من الراحة الا عندما قرر الجميع مغادرة المطعم.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما عادت و لوك الى البيت. وبمجرد دخولهما، سألها لوك فجأة:

«ما مدى معرفتك بذلك الشاب ماتريتغ؟»

«لم اعرف انك على معرفة بفيليب!»

«اعرف والده... وانت لم تجيبي بعد على سؤالي.»

«كنت صديقته لمدة عامين تقريبا.»

«يبدو انه يعتبرني متعدياً على حقوقه!»

«اوه، بربك يالوك. ما هذا؟ تحقيق؟ استجواب؟ ماذا تريد مني؟»

ثم نظرت اليه بغضب وحدة، واضافت قائلة:

«كان يريد الزواج مني. هل هذا كاف؟»

«واعتقد انك لم تكوني راغبة بالزواج منه!»

«لا.لا. لم اكن اريد الزواج منه! اللعنة على غطرستك يا لوشيانو اندريتي! ماذا ستفعل ان طالبت بمعرفة جميع التفاصيل المتعلقة بعلاقاتك التي لا تحصى! كارميلا تبدو انها احداهن! وشانتريل اوضحت لي ببساطة انها تتوقع من زوجي العزيز ان يسعى للحصول على بعض السلوى منها عندما يمل مني.»

وبدأت تمشي بسرعة نحو غرفة النوم وهي تقول:

«هل تعرف ماذا قالت لي ايضا؟ قالت انني طفلة صغيرة لا اعرف كيف اتصرف معك!»

ودخلت الغرفة ثم اغلقت الباب وراءها بعصبية بالغة وعنف ظاهر. رمت وشاحها على السرير واخرجت منديلها لتمسح دموع الألم التي بدأت تنهمر من عينيها. وفجأة فتح الباب وسمعت «لوك» يقول لها بهدوء وهو يغلق الباب وراءه:

«يبدو انك تعيرين اهتماماً خاصاً لملاحظات «شانتريل»!»

«وكيف تريدني ان اشعر؟ اولا «شانتريل» ثم «فيليب»! وكأنهما لم يكونا كافيين، جئت انت... اوه! انني اكره الرجال الذين يتخاصمون حول امرأة... كديكين يتعاركان حول دجاجة تكون من نصيب الفائز!»

ضحك، فأثار المزيد من غضبها وتوتر اعصابها. قطبت جبينها وسألته بعصبية:

«اي نوع من الناس انت يا «لوك»؟»

«مجرد رجل يا صغيرتي. وهل من صفة اخرى يمكن اطلاقها علي؟»

«بلى! انك فاسق ومدمن على الفجور»

«وهناك العشرات من النساء رهن اشارتي؟»

«اسمع! انا اعرف انك لست راهباً»

«وهل تفضلين ان اكون هكذا؟»

«لايمكنني ابدا ان اتصورك وقد نذرت العفة!»

«انت مخطئة جداً ان تصورت فعلا انني عاشرت عدداً كبيراً من النساء في حياتي»

«يصعب علي كثيراً تصديق ذلك»

اقترب منها ووضع يديه على كتفيها ثم قال:

«انت تحملين اسمي يا «سالي»»

«تقولها وكأن اسم «اندريتي» وسام يجب ان احمله بفخر واعتزاز»

ضمها اليه وقال لها فيما كانت تحاول الافلات منه بدون جدوى:

«مسكينة انت ياصغيرتي!»

«اتركني، ارجوك. دعني اذهب الى السرير»

«وهذا ما ستفعلينه»

«لوك... ارجوك! لا...!»

«لا، ماذا؟»

ذابت... ضاعت... لما التحفظ؟ لما التظاهر؟ انها تريده بقدر ما هو يريدها

مرت الايام اللاحقة بدون مشاكل على الاطلاق، حتى انها كانت تنسى معنى الشجار او الجدل. ولكن «سالي» لاحظت ان احد الاسباب الرئيسية لذلك هو عدم وجود فرص سانحة للمشاجرة. فزوجها يغادر المنزل باكراً صباح كل يوم ويعود في المساء، حيث يتناولان العشاء، ويدخل هو على اثر ذلك الى غرفة المكتب فيما تجلس هي وحدها تقرأ كتاباً او تشاهد برنامجاً تلفزيونياً.

خلال النهار، كانت «سالي» تمضي وقتاً ممتعاً. انهت شراء معظم الهدايا التي سيقدمانها في عيد الميلاد، وامضت ساعات في توضيبها ولفها بأوراق ملونة جميلة... وخاصة تلك التي ستقدم الى اولاد اخته. كذلك كانت هناك هدية الى والدها... وهدية خاصة منها الى «لوك». اما البطاقات، فكانت بالعشرات.

كان «كارلو» خير مساعد وصديق، واصبحت «سالي» تشعر وكأنها تعرفه منذ زمن طويل. وعندما طلبت منه ان تتولى هي مهمة اعداد العشاء لها ولزوجها لبى دون اعتراض، مع انه اصرّ على تولي مهام اخرى اضافية تعويضاً عن ذلك.

ويوم الخميس اعدت عشاء شهياً للغاية استغرق تحضيره وتجهيزه طوال ساعات ما بعد الظهر. لم يكن ثمة سبب لذلك سوى انها شعرت برغبة في الطهو وممارسة هوايتها المفضلة. ودخل «كارلو» الى المطبخ وعلى وجهه ملامح الاسف وقال:

«اتصل «لوك» قبل قليل وطلب مني ابلاغك بأنه مضطر للتأخر في عمله مساء

تتطلب اهتمامه الشخصي، وبالتالي فانه لن يتمكن من تناول العشاء في البيـ
كما طلب مني ابلاغك اعتذاره الشديد.»

شعرت سالي بخيبة امل قوية لم تتمكن من تفسيرها او تحليلها. كانـ تتطلع الى عشاء تلك الليلة بالذات، آملة في ان تكون سهرتها كسابقاتها الثلاث ان لم تكن افضل من حيث ابداء تقديره للطعام وطريقة اعداده... وتبـ الاحاديث معها باسلوب ممتع وبعيد عن التعقيدات او المشاكسات. ارغمـ نفسها على الابتسام وقالت:

«اعتقد ان هذه الوليمة ستقتصر علينا نحن يا كارلو!»

«لقد نسيت طبعا يا سالي انني مجاز هذه الليلة انه يوم اللقاء مع الزملاء القدامى ولكنني على اتم الاستعداد للبقاء معك اذا اردت.»

رفضت سالي العرض اللطيف بدون تردد:

«لن اسمح بذلك ابداً. سأنهي اعداد العشاء بمفردي. وعندما يبرد الطعام اضعه في الثلاجة ونعيد تسخينه مساء غد باذن الله.»

«ولكنك سوف تتناولين العشاء غدا خارج البيت، أليس كذلك؟»

كيف يمكنها ان تنسى؟ ففي اليوم التالي يقيم والدها حفلة عشاء كبرى وهي ستتولى مهمة اعداد الطعام. هزت بكتفيها وقالت باسمة:

«لا بأس، سأضع الاطعمة كلها في حجرة التجميد ونأكلها بعد غد.»

غادر كارلو المنزل بعد الخامسة بقليل، وفي الخامسة والنصف رن جرس الهاتف فهبت سالي من مكانها آملة في ان تسمع لوك يقول لها انه آت على الفور. وشعرت بغصة في حلقها عندما سمعت كارميلا اورتيغا تقول انها لم تجد لوك في المكتب وانها مضطرة للتحدث معه على الفور. قالت لها سالي بتهذيب بأن لوك سيعود في وقت متأخر وانها مستعدة لابلاغه اي رسالة تريد كارميلا توجيهها اليه. رفضت كارميلا ذلك قائلة ان بامكانها الانتظار لحين اجتماعها بلوك في وقت لاحق من ذلك المساء.

أعادت سالي السماعة بغضب ظاهر. اعمال هامة تستدعي تأخره عن العودة الى بيته! هذه هي اذن الاعمال التي يجب ان يوليها اهتمامه الشخصي! رفعت

سماعة الهاتف فجأة واتصلت بوالدها:

مرحباً يا ابي. انها مسرورة جدا لوجودك في البيت. اعددت اليوم اشهى وألذ ـ في العالم وليس هناك احد اتناوله معه. جهز المائدة وستجدني عندك خلال ـة وجيزة جداً.»

واعادت سماعة الهاتف الى مكانها دون ان تفسح المجال لوالدها كي يعترض او يرفض... او حتى ان يشكرها على عرضها السخي. وبدأت على الفور في ـداد ما يجب حمله معها الى شقة والدها. وخلال خمس عشرة دقيقة كانت تفرغ محتويات العلب المتعددة التي احضرتها معها. سألها والدها مازحاً:

«ما هي مناسبة تكريمي على هذا النحو؟ انه ليس عيد ميلادي، وكذلك فان...»

«لا تسألني عن السبب. اجلس وتمتع بهذا العشاء الرائع.»

«يمكنني ان احزر. اتصل لوك في اللحظة الأخيرة وقال انه لن يحضر للعشاء.»

«صحيح تماما.»

تطلع اليها جو متأملا ومتفحصا ثم سألها بجدية وقلق:

«هل وقع الشجار الأول بينكما؟»

«لا، ولماذا تظن ذلك؟»

آه لو يعرف كم من مرة تشاجرا وتجادلا! وهزت كتفيها ببرودة وهي تضيف بهدوء لا يصدق:

«انت تعرف ولعي وتعلقي بالطبخ واعداد الأطعمة الشهية. والليلة هي اجازة كارلو الاسبوعية. امضيت عدة ساعات وانا اعدّ هذه المأكولات الطيبة ثم وجدت ان ما من احد سيشاطرني التمتع بها. فاتصلت بك على الفور.»

ضحك جو وقال لها بارتياح:

«اقنعتني! لنأكل!»

مرّ الوقت بسرعة وهما يأكلان ويتبادلان شتى انواع الحديث. وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل عندما انتهت من غسل الصحون والأطباق واصبحت جاهزة للعودة. ولدى عودتها شعرت سالي بشيء من الانزعاج لأنها لم تترك رسالة لزوجها عن مكان وجودها او موعد رجوعها. وعندما لم تجد سيارة لوك

في مكانها المعتاد. دخلت القاعة الرئيسية وهي تغص بمزيج من الألم والانقباض لأنه لم يعد بعد الى البيت.

اعادت الأغراض الى امكنتها في المطبخ ثم اعدت فنجاناً من القهوة وذهبت الى غرفة الجلوس لتشرب قهوتها وتشاهد الحفلة الموسيقية التي يبثها التلفزيون في مثل تلك الساعة.

«تنتظرين عودتي بفارغ الصبر، يا زوجتي العزيزة؟»

استدارت بسرعة نحو مصدر ذلك الصوت الساخر وهي على وشك البدء بهجوم اتهامي غاضب. ولكنها تمالكت اعصابها وقالت له بعدم اكتراث:

«لا. ابداً!»

«برنامج جيد؟»

«للغاية.»

«وهل تشاهدينه منذ فترة طويلة؟»

كان هناك شيء في صوته يحذرها من المراوغة. لا يمكنه ابداً ان يعرف انها لم تكن في البيت طوال الوقت... ما لم يكن قد حاول الاتصال بها هاتفياً. ازاحت خصلة من الشعر عن وجهها وتطلعت اليه بدون خوف او وجل قائلة:

«منذ اقل من عشرين دقيقة. هل تمتعت بعشائك في الخارج؟»

حاولت سالي ان تكون نبرة صوتها عادية وبعيدة كل البعد عن الانفعال والعصبية. الا انه بدا واضحاً انها لم تفلح. فقد رفع حاجبه ورد عليها بهدوء مماثل:

«هل افهم منك انك تخفين عني شيئاً ما ياصغيرتي؟»

اعادت سالي نظرها الى الشاشة الصغيرة وقالت:

«انك تتخيل اشياء لا وجود لها. انا لا يهمني على الاطلاق اين تمضي امسياتك ومع من تمضيها.»

لم تسمع خطواته على السجادة الناعمة، ولكن سمعته يقول لها وقد اصبح فجأة وراءها مباشرة:

«امسيتي، ياعزيزتي، اقتصرت على الأعمال التجارية.»

«طبعاً، طبعاً! ولكن كارميلا الحت الى امور اخرى عندما اتصلت بالبيت بعد ان فشلت في ايجادك بالمكتب ورفضت الآنسة الكريمة ان تترك لك اي رسالة معي لأنها قالت انها ستبلغك اياها شخصياً اثناء تناولكما العشاء.»

«اشتم من كلامك ولهجتك رائحة الغيرة. هل هذا صحيح يا صغيرتي؟»

«لا! ولكن... في المرة المقبلة عندما تقرر عدم الحضور الى البيت في موعد العشاء، اخبرني مسبقاً كيلا امضي الساعات الطوال من وقتي في اعداد طعام لن تأكله.»

«وما هي بالمناسبة الاطباق الشهية واللذيذة التي حرمت نفسي منها هذه الليلة؟»

«لا شيء خاصاً، اؤكد لك!»

ثم تطلعت فيه بتحد واضافت:

«اني ذاهبة الى النوم.»

وقف امامها مانعاً اياها من التقدم وقال بهدوء:

«لا، ليس بهذه العجلة. كارميلا ياسالي هي محاسبة قديرة للغاية. اننا نعمل معاً بين الحين والآخر. وعندما لا نتمكن من الاجتماع خلال ساعات العمل التقليدية، نتفق عادة على اللقاء حول طاولة عشاء.»

ثم مد يده الى شعرها مداعباً واضاف:

«لا ضرورة للغيرة على الاطلاق.»

«عن اي غيرة تتحدث؟ انا لا اشعر بالغيرة بتاتاً! يمكنك تناول العشاء مع مئة امرأة في مئة مناسبة ومئة ليلة. كل ما في الأمر انني افضل عدم اللقاء معهن او مواجهتهن.»

«تعنين انني يجب ان اتصرف بسرية تامة، أليس كذلك؟»

امسك بيدها التي ارتفعت نحو وجهه بقوة وقال بهدوء وهو يشدها اليه:

«لا يا صغيرتي الحادة الطباع! والآن، اخبريني اين كنت عندما حاولت الاتصال بك مرتين هذا المساء؟»

عملت جاهدة للافلات من قبضته لكنها لم تتمكن. فقالت له بغضب واضح:

«رأيت ان من المؤسف جداً رمي الطعام او وضعه في البراد بعد ان عملت ساعات لاعداده. فاتصلت بأبي واخذت المأكولات الى شقته حيث تناولنا العشاء

معاً. لماذا تسأل؟ هل تصورت مثلاً انني كنت على موعد مع رجل آخر؟»

«انك احياناً تطلقين العنان للسانك بدون وعي او تفكير. ليكن واضحاً تماماً انني لو شعرت يوماً بانك...»

ومع انه توقف عن متابعة تحذيره، احست برعشة الخوف تسري في عظامها. ثم افلتها فجأة بعد ان حدّق بها طويلاً، وقال لها:

«اذهبي الى الفراش يا سالي. سألحق بك بعد قليل.»

صعدت الدرج عدواً ثم هرعت الى الحمام حيث اخذت حماماً بارداً وألقت بنفسها على السرير وقد صممت على النوم باسرع وقت ممكن. لكن النعاس لم يداعب عينيها قبل فترة طويلة من الرقاد والتفكير والانقباض. ولما دخل لوك الغرفة، تظاهرت بانها تغط في نوم عميق وقد توترت اعصابها لمجرد التفكير بما سيقدم عليه خلال لحظات. وعندما تأكد لها انه لم يحاول شيئاً بل نام على الفور، شعرت بسعادة فائقة وراحة نفسية كبيرة. ولكن جسمها الخائف كانت له رغبات مختلفة... فتألمت... وظلت مستيقظة بضع ساعات قبل ان يحملها الارهاق والتعب على الاستسلام لنوم عميق.

٧ ـ حفلة والدها

عندما استيقظت سالي اليوم التالي، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ولوك غادر المنزل الى عمله. لم تأسف كثيراً لأنها لم تكن متأكدة من انها ستكون مهذبة معه هذا الصباح.

امضت معظم الساعات التالية في الاعداد لحفلة عشاء والدها تلك الليلة. وبعدما اشترت معظم الحاجيات الضرورية، تناولت غداء خفيفاً وتوجهت الى شقة والدها في منطقة روز باي. كانت مسرورة جداً وهي تستعيد ذكرى الايام الغابرة كمساعدة لكبير الطهاة كلود. وشعرت انها على استعداد ان تنسى انها سالي اندريتي... وان تتخيل زواجها، وحتى لوك نفسه، كجزء من احلامها.

كانت قائمة الطعام التي اختارتها كبيرة وتستلزم ساعات من العمل والاعداد ولم تنتبه الا حوالي الرابعة من بعد الظهر الى انها لم تترك خبراً لزوجها عن مكان وجودها. شعرت بغصة وألم... وبشيء من الخوف والانقباض. فهو رفض بعناد واصرار قبل اسبوع تقريباً ان تكون لها يد في اعداد حفلة والدها، كما انهما لم يبحثا الموضوع مرة اخرى منذ ذلك الحين. اوه، ماذا سيقول او سيفعل عندما يكتشف انها تحدت ارادته ورفضت الانصياع لأوامره؟ تصارعت الافكار في رأسها بسرعة وعصبية... هل تتصل بالمنزل وتترك خبراً مع كارلو؟ بعد مقارنة سريعة مع الحلول الأخرى المحتملة، قررت ان الاتصال بكارلو هو افضل طريقة ممكنة. فالاتصال بزوجها في المكتب ليس عملياً او حكيماً، بل انه حتى لم

يكن وارداً على الاطلاق.

في الخامسة والنصف كان كل شيء جاهزاً، وبالتالي فان لديها الوقت الكافي للاستحمام وارتداء ثياب السهرة التي احضرتها معها منذ الظهر. ولما عادت الى قاعة الاستقبال، كان الباب يفتح ووالدها يدخل البيت عائداً من عمله. عبرت الغرفة لملاقاته وهي تمد ذراعيها لمعانقته فيما كانت تعلو وجهها اشراقة جميلة وابتسامة حنونة. احتضنها والدها بمحبة وقال لها بصدق واخلاص:

«انك تبدين رائعة يا حبيبتي. من المؤكد ان الزواج يناسبك كثيراً.»

ثم خلع سترته وقال باطراء واضح:

«يا لهذه الرائحة الطيبة! انك من افضل الطهاة الذين عرفتهم في حياتي!»

«انت لست موضوعياً، وتبالغ الى حد كبير. هل احضر لك فنجاناً من القهوة؟»

«انا سأحضر القهوة لك ولي.»

«لنشرب القهوة اذن في المطبخ. فلا يزال علي اعداد بعض الأمور الثانوية.»

«متى تتوقعين حضور لوك؟»

«من النادر ان يعود الى البيت قبل السادسة. ثم انه سيستحم ويرتدي ثياب السهرة... فمن المحتمل ان يصل حوالي السابعة.»

«سيصل الآخرون بعد السابعة بقليل، وسنتناول العشاء في السابعة والنصف. فما رأيك؟»

«كما تشاء يا ابي.»

وفيما كانا يتوجهان الى المطبخ قالت له بهدوء:

«لم تخبرني بعد من هم ضيوفك هذه الليلة.»

هز رأسه آسفاً وقال:

«يا لاهمالي وغبائي! انهم نورديستباين وزوجته طبعاً، و بابكر سفيلد وزوجته... وابنتهما شانتريل مع شاب من اصدقائها.»

وضحك ثم اضاف:

«قالت لي اندريا بابكر سفيلد ان شانتريل ستكون تعيسة جداً اذا ما دعوتها مع رفيقها هذه الليلة. اوه، وهناك ايضاً انجل وزوجته... من ايضا؟

آه، نعم: بيرت وزوجته. هؤلاء هم جميعاً على ما أعتقد.»

تضايقت سالي بصمت لاصرار شانتريل على الحضور. اللعنة! لماذا تريد الحضور؟ وهل يعقل انها ستحضر معها فيليب؟ لا. لا، هذا غير ممكن... وغير منطقي!

في تمام الساعة السابعة رن جرس الباب فذهب جو لفتحه وعاد ومعه الزوجان نورديستباين. ثم تبعهما بعد لحظات كل من الزوجين بيرت وانجل. وخلال دقيقتين وصل تشارلز واندريا بابكر سفيلد. ولم يعد هناك سوى شانتريل وصديقها... ولوك! اين هو يا ترى؟ وبدأت سالي تشعر بالانقباض والانزعاج. ربما قرر عدم الحضور! لا، لا يمكنه ذلك بحق السماء! من المؤكد انه سيأتي مهما كان غاضباً او متضايقاً... يجب أن يأتي!

رن جرس الباب مجدداً فشعرت سالي برجفة قوية حاولت تغطيتها بابتسامة خفيفة سرعان ما اختفت لدى دخول شانتريل ورفيقها. وما هي الا لحظات حتى سمعت رنين الهاتف. تسمرت في مكانها واخذت تراقب والدها يرفع السماعة، ويتحدث... ثم يبتسم بعد ثوان من الصمت، ويعيد السماعة الى مكانها. اقترب منها وقال لها بهدوء:

«كنت اتحدث مع لوك: انه قادم الآن. يبدو انه تأخر قليلا في المدينة.»

شعرت سالي بارتياح كبير لدى سماعها النبأ. ولكن، مع اقتراب موعد وصوله، عاد اليها توتر الاعصاب والترقب واخذت تنظر نحو الباب كل دقيقة. وبعد فترة احست بأنها لم تعد تتحمل الانتظار المرهق فذهبت الى المطبخ بحجة القاء نظرة اخيرة على الطعام.

مضت خمس دقائق تقريبا احست سالي على اثرها بأن احداً يراقبها. استدارت ببطء وتطلعت نحو الباب لتلتقي نظراتها نظرات زوجها الحادة والثاقبة.

«هل وصلت الآن؟»

ما هذا السؤال السخيف؟ ألم يكن من الأفضل ألا تسأله شيئاً؟ لماذا لم يقل هو شيئاً؟ اي كلام يمكن ان يتفوّه به افضل من هذا الصمت المزعج.

«يبدو انك قررت تجاهل رغباتي!»

قالها بلهجة باردة أفزعتها الى حدّ ما. ولكنها قررت المواجهة، فقالت له:

«تحت أوامرك. أليس كذلك؟»

ومدت يدا مرتعشة لتبعد خصلة من شعرها عن وجهها ثم عضت على شفتها السفلى بشيء من العصبية. ماذا حدث لها؟ اين الغضب الذي كان يثيره فيها عادة؟ يجب ان تشعر بالزهو والسرور لأنها تمكنت من الاستهزاء به واهانته، ولكنها على العكس من ذلك لاحظت انها تشعر بالبؤس والتعاسة. اقترب منها وقال بجدية:

«افضل استخدام كلمة رغبات.»

نظرت اليه بتحد وقالت بهدوء وتصميم:

«ارفض ان تستخدم معي اسلوب الارهاب، وافضل عدم الدخول في جدل معك... هنا. على الأقل.»

«في هذه الحالة اقترح عليك مرافقتي الى قاعة الاستقبال وتمثيل دور الزوجة المحبة المتفانية.»

«وهل ستقوم انت بدور الزوج المخلص؟»

«انتهي ياصغيرتي! لا تثيري حفيظتي ولا تحاولي اشعال فتيل غضبي!»

ارتعشت سالي ولم تتمكن من الرد عليه. قبلها بقوة وسرعة ثم افلتها وقال:

«اذا شاهدك احد تنظرين اليّ هكذا ايتها الحبيبة، فسوف يظن انني ارغمتك على الاستسلام بواسطة الضرب.»

«وهل تنكر انك لا تنوي القيام بذلك؟»

قال بنعومة وهو يمسك بذراعها ليتوجها نحو القاعة

«هيا، تنضم الى ضيوف والدك.»

كان الجميع يبتسمون لها ظناً منهم انها عروس تتربع على قمة السعادة والهناء. وقررت سالي ألا تخيّب ظنهم وأملهم، فأمسكت بذراع لوك وبدأت تقدمه الى اصدقاء والدها متظاهرة بانها الزوجة العاشقة. ولما اقتربا من شانتريل ازدادت ابتسامتها اتساعاً ووجهها اشراقاً بهدف اغاظتها ومضايقتها. الا أن الفتاة الأخرى سبقتها الى الاستفزاز عندما قالت:

«لا حاجة للتعريف، ايتها العزيزة. لوك وانا صديقان قديمان. فيليب رفض

بشموخ مرافقتي الى هذه الحفلة، واعتقد ان ما من احد يلومه على ذلك.»

ثم اشارت الى الرجل الذي يقف قربها وقالت بشيء من عدم الاكتراث:

«غفين ساندرسن احد زملاء والدي.»

صحح غفين قولها باسماً:

«احد موظفيه الذين لم يصلوا بعد الى درجة الادارة.»

بدا الشاب ودوداً ومرحاً يعكس رفيقته الشرسة والوقحة التي قالت لها:

«اني متعجبة لأنكما لم تصلا في وقت واحد.»

تبرع لوك للرد عليها موضحاً بهدوء:

«ارادت سالي ان تساعد في اعداد الطعام فحضرت قبلي.»

«طبعاً... سالي كانت تعمل كطاهية، أليس كذلك؟ اعتذاري لأنني نسيت.»

تضايقت سالي كثيراً من هذه الملاحظة اللئيمة. فكم من مرة لبّت شانتريل دعوة الى العشاء في منزل بالينغر وكانت سالي قطعاً هي التي تتولى اعداد الطعام؟ ارادت ان تعلّق بجملة قاسية، ولكن شانتريل سبقتها الى الكلام عندما قالت بخبث وهي توجه نظرات الى لوك تحمل الكثير من المعاني:

«يقولون ان الطريق الى قلب الرجل يمرّ عبر معدته، ولكنني اعتقد ايضا ان سالي تتحلى بمزايا ومواهب اخرى.»

ابتسم لوك بهدوء وادهش سالي عندما رفع يدها الى فمه وراح يقبّل اصابعها بحنان واضح. ثم نظر اليها بشغف وقال:

«انها تسحرني.»

«اوه، اوه، يالشاعرية! يجب على سالي ان تطلعني على سرّ هذا النجاح الباهر!»

ثم ابتسمت بسخرية ومضت الى القول:

«فيليب بالتأكيد شاب مخبول. اما انت يا لوك، القاسي المتمرس كما اعرفك، كنت اظن بأنك محصن ضد اساليب فتاة صغيرة شقراء!»

شعرت سالي بان البركان في داخلها على وشك ان يثور وينفجر، وأحست بأنها لو لم تكن في منزل والدها ومسؤولة ايضا عن العشاء وراحة الضيوف،

لكانت وجهت الى وجه الشؤم هذه كلمات قاسية ولاذعة. الا انها حافظت على هدوء اعصابها وقالت ببرودة تحسد عليها:

«ربما كان لوك يرغب في استخدامي كطاهية محترفة، وعندما اكتشف مواهبي الأخرى قرر منحي خاتم زواج بدلا من مرتب شهري.»

ونظرت الى لوك لتشاهد عينين تحذرانها من الاستمرار في استخدام هذا المزاح الساخر. رفعت يدها نحو وجهه ووضعت اصبعاً على شفتيه بغنج قائلة:

«لا تنظر اليّ بمثل هذه القساوة يا حبيبي. فهذه النظرات ليست من عادتك... وانا كنت امزح، لا اكثر»

تدخل غفين قائلا:

«أنا متأكد من ان لوك لا يهمه ان كنت تطبخين جيداً ام لا.»

ابتسمت له بتقدير واجاب. فهو يبدو على الأقل لطيفاً لا بأس به في حربها الكلامية مع شانتريل. ثم وجهت حديثها الى الجميع قائلة وهي تسحب يدها بهدوء من يد لوك:

«اعذروني الآن. سأذهب للبدء باحضار الطعام.»

كان العشاء طيباً وشهياً والاحاديث جيدة وممتعة والسهرة ككل شيقة وناجحة باستثناء النظرات القاسية والكلمات اللاذعة التي كانت شانتريل توجهها لسالي. وعندما غادر الجميع قاعة الطعام وتوجهوا الى غرفة الجلوس، شعرت سالي بشيء من الارتياح لأنها على الأقل لم تعد مضطرة للوجود مع شانتريل حول طاولة واحدة.

«انك فعلا طاهية ماهرة. والعشاء كان رائعا.»

تطلعت سالي حولها لتجد غفين ساندرسن يقف قربها مبتسماً بتهذيب وامتنان. ابتسمت له سالي بدورها وقالت:

«شكرا يا غفين. اني مسرورة لأنك تمتعت به.»

«قيل لي انك متزوجة منذ فترة وجيزة.»

تأملته سالي بسرعة مسجلة بارتياح انه شاب لطيف وودود، وان شانتريل غير جديرة بشخص مثله. ابتسمت وقالت له ردا على تساؤله:

«منذ بضعة اسابيع... منذ اسبوعين على وجه التحديد.»

«لوك رجل محظوظ للغاية. لو لم تكوني متزوجة لدعوتك الى سهرة راقصة. لا اظن انك.... لا، لايمكن.»

وهز رأسه وهو يبتسم. فردت ابتسامته بالمثل وأكدت له بهدوء وجدية.

«انت على حق. لا يمكن! بالمناسبة، هل تعرف شانتريل منذ زمن طويل؟»

«طويل بما فيه الكفاية! هل اجبتك على سؤالك؟»

طبعاً اجابها... واعطاها عدة افكار جديدة للتحليل والتأمل. وراحت تجول بنظرها في تلك القاعة، وخاصة باتجاه لوك الذي بدا انه يجري حديثاً جدياً مع والدها. وراقبت ايضا باهتمام وتفحص الفتاة المزعجة شانتريل التي انضمت الى الرجلين. ولحق بها بعد قليل تشارلز بايكر سفيلد. الذي اختلى بأبيها في احدى الزوايا. وتوترت اعصابها وشعرت... بالغيرة. عندما شاهدت شانتريل تضع يدها على ذراع لوك بغنج ودلال. كيف تجرؤ اللعينة على ذلك؟ لماذا تتحداها على هذا الشكل؟ احمرّ خداها واشتعلت عيناها غضباً عندما رأت تلك الابتسامة الحالمة التي وجهتها تلك الفتاة الوقحة الى زوجها. وانتبهت سالي فجأة الى انها لم ترد على سؤال غفين. فقالت له متلعثمة

«انا آسفة.... ماذا.... ماذا قلت لي؟»

«اني اقترح ان نفصل بينهما.»

ثم ابتسم وعرض عليها ذراعه قائلا بمرح ظاهر:

«هل تنضمين الي؟»

«بكل سرور.»

لم يكن بالامكان تحديد ما تخفيه ملامح لوك. هل يشعر بالضجر؟ هل هو سعيد بوجوده مع هذه اللعينة؟ شاهدها تقترب منه فشعت عيناه ببريق خاطف ورفع يده ليضعها على كتفها ويضمها اليه. وقالت سالي ان وجودها على هذا الشكل مع زوجها امر طبيعي جداً. فهي تشعر بالحماية والأمان... والانتماء. وبدا لها هذا الرجل العريض المنكبين وكأنه جزء منها. وقالت لنفسها انها يجب ان تكرهه... انها كرهته فعلا عدة مرات في السابق. اما الآن...

«هل تنوين العودة الينا من الامكنة التي كنت تتجولين فيها خلال الدقائق القليلة الماضية؟»

رفعت رأسها باتجاه لوك الذي كان ينظر اليها برقة وحنان، ثم تطلعت نحو غفين الذي كان يبتسم بهدوء، ونحو شانتريل التي كانت نظراتها الحاقدة والحاسدة تكاد تحرق وجنتيها وعينيها. تمكنت من ارغام نفسها الى الضحك وقالت موجهة حديثها الى لوك:

«آسفة. يبدو انني سافرت بعيداً.»

تدخل جو بالينغر قائلاً:

«سالي! لك مكالمة هاتفية من نيويورك. استخدمي الهاتف الموجود في غرفة المكتب.»

«نيويورك! امي؟ اميلي!»

«هي بذاتها! تحدثت معها قبل قليل وجاء الآن دورك انت.»

تسمّرت سالي في مكانها... كانت امها دائماً غريبة الأطوار فيما يتعلق بالوقت والتوقيت! وسمعت والدها يقول:

«هيّا، هيّا! سارسل لوك وراءك بعد خمس دقائق لتحصلي منه على دعم معنوي يساعدك ويشد من عزيمتك.»

ابتسمت بخبث واستدارت نحو مكتب ابيها وهي تقول:

«ادع لي بالتوفيق!»

كان الاتصال صافياً الى درجة مذهلة وكأن امها موجودة في غرفة مجاورة. شدت سالي على السماعة وهي ترغم نفسها على عدم الضحك. فبعد الترحيب المعتاد، دخلت والدتها فورا في صلب الموضوع:

«ما هذا الهراء كله يا سالي؟ هل صحيح انك تزوجت؟»

«هراء، يا امي؟»

ارتفع صوت اميلي الى مستوى لا يصدق وهي تسأل بعصبية:

«من هو هذا الرجل؟ اندريتي! هذا اسم ايطالي، أليس كذلك؟ ماذا فعلت بنفسك يا سالي؟ تتزوجين ايطالياً؟»

«ابي موافق.»

«ابوك لم يكن ابداً انساناً عاقلاً او منطقياً! لماذا لم تخبريني انا؟ انا امك، على ما اعتقد! ولماذا هذه السرعة؟ انك لست...؟»

وتوقفت عن متابعة جملتها، فردت سالي على الفور:

«حامل؛ امر محتمل علمياً ولكن بوادره لم تظهر بعد.»

«اعتقد انه احد المهاجرين الفقراء المعدمين. لن ارتاح ابداً قبل ان ارى بنفسي الورطة التي اوقعت نفسك بها.»

ثم تنهدت وكأنها تندب حظ ابنتها. وبعد ان صمتت قليلاً عادت الى الهجوم:

«من المؤكد انك ورثت هذا الغباء وهذه الرعونة عن والدك... ولم ترثي شيئاً مني. هل هو...؟»

«هل هو ماذا، يا امي؟»

وتطلعت لتشاهد لوك يدخل الغرفة بهدوء وروية، فابتسمت له، فيما سمعت والدتها تقول:

«سالي! ألا تصغين لما اقول؟ هل هذا... هذا الرجل احد الذين هاجروا الى استراليا في الفترة الأخيرة؟ هل لديه مال؟»

«الجواب على السؤالين... نعم!»

«هل هو بقربك الآن؟ هل هذا هو سبب اجاباتك المقتضبة والمبهمة؟»

وضعت سالي يدها على سماعة الهاتف لتحجب صوتها عن اذن والدتها وقالت لزوجها وهي تبتسم:

«اظن ان الوقت قد حان لأقدمك الى حماتك... عبر الهاتف!»

ثم اشارت اليه للاقتراب منها في حين قالت لأمها بابتهاج واضح:

«امي! لوك موجود هنا الآن. هل تحبين التحدث معه؟»

«اتصوّر انه يتكلم الانكليزية قليلاً! اوه، سالي، حتى لو انه يعرف لغتنا الى حد ما قد لا افهم شيئاً من كلامه بسبب لكنته الغريبة!»

لم تعلّق سالي بشيء على ذلك بل اعطت السماعة للوك وهي تخفي ابتسامة ماكرة، ثم خرجت من المكتب لتعود بعد خمس دقائق وتستأنف الحديث

مع امها:

«ابي يقيم الآن حفل عشاء، ولذا سوف نضطر للعودة اليهم. ثم... ان هذه المكالمة ستكون باهظة التكاليف.»

«وما اهمية المال يا صغيرتي؟ يجب ان اراك في اقرب وقت ممكن. لست مرتاحة جداً الى انك لم ترتكبي غلطة كبيرة.»

واضطرت للاعتراف بتحفظ انه يبدو من حديث لوك انه رجل لا بأس به. ومضت الى القول.

«الا ان الاصوات قد تكون مضللة. في اي حال، سأستقل اول طائرة الى سيدني مباشرة بعد رأس السنة. اعتقد انه ستكون هناك غرفة اضافية يمكنني النوم فيها.»

لا. لا، هذا غير ممكن. انها ستواجه مشاكل اصبحت بغنى عنها. حاولت الاعتراض ولكن بدون جدوى.

«امي...»

«الى اللقاء ياحبيبتي. عودي الى حفلتك. كل ميلاد وانت بخير.»

واقفلت الخط فوضعت سالي السماعة في مكانها ببطء وهدوء وكانت ملامحها مزيجاً غريباً من المشاعر والانفعالات المختلفة. ثم نظرت الى لوك وقالت بلهجة جافة الى حد ما:

«بعد ان تحدثت معها هاتفياً، سوف تحظى بشرف مقابلتها شخصياً، لأنها تنوي زيارتنا قريباً.»

«ستكون والدتك ضيفتنا طبعاً.»

«اخشى انك ستتعرض للاستجواب على يد خبيرة ماهرة. هل لديك مانع؟»

«يبدو ان الأمور رتبت بينكما على نحو لا يتطلب استشارة احد.»

ثم امسك بذراعها وبدأ يسير وإياها نحو الباب وهو يقول:

«لنعد الى ضيوف والدك.»

شعرت سالي بالأسف لاضطرارها مغادرة تلك الغرفة... ارادت ان يظلا وحدهما... ان يعانقها! توقفت عن السير فجأة، فسألها بصوت ناعم اذهلها:

«هل تطلبين مني معانقتك يا فراشتي؟»

تلعثمت وهي تجيبه بتردد:

«انا... لا، طبعاً... لا!»

«يا للخسارة!»

رفعت يدها الى شعرها بعصبية واضحة وقالت:

«يجب ان احضر القهوة. انها الحادية عشرة تقريباً.»

«سأسمح لك بها هذه المرة... ولكنك لن تتمكني من الافلات في المستقبل لانني ان بيننا حساباً يجب تسويته.»

«انك... انك لن تتجرأ على... لمسي...!»

«انا لا اوجه تهديدات فارغة يا صغيرتي، وانت تعرفين ذلك تماماً.»

«انني اكرهك!»

همست بهاتين الكلمتين وهي عابسة ومتوترة الاعصاب.

وزاد من حدة غضبها وغيظها انه ضحك بتهكم وقال لها بسخرية هادئة:

«ولكن... ليس طوال الوقت!»

كانت تشعر طوال الوقت بأنها على فوهة بركان، وتريد العودة الى البيت.

واخيراً، حل وقت الرحيل الجماعي، وعندما اغلق الباب وراء الضيف الأخير تطلع جو نحو ابنته بحنان واضح مبتسماً بمحبة وامتنان، وقال:

«يجب ان تحاول الا تفصل بين اجتماعاتنا هذه فترات طويلة او متباعدة. شكراً لك يا سالي على هذه الحفلة الرائعة والعشاء الممتاز، وشكراً لك يا لوك لانك سمحت لها بذلك.»

ثم اشار الى ابريق القهوة وقال لها:

«هل تشاركاني بقية هذه القهوة اللذيذة؟»

رد عليه لوك بتهذيب واضح:

«شكرا يا جو. سنشرب القهوة ثم نتمنى لك ليلة سعيدة.»

رفعت سالي فنجانها نحو والدها كأنها تشرب نخبه وقالت بمحبة وحنان:

«ميلاد سعيد يا ابي. اتمنى ان تمضي الاعياد الخمسين المقبلة بسعادة وهناء.»

رد جو على ثنيات ابنته بابتسامة شكر صادقة. ثم قال لها:

«اتصور انك لم تتمكني من اقناع اميلي بعدم عبور المحيط الاطلسي!»

«على الاطلاق! سوف تصل الى سيدني بعد رأس السنة مباشرة.»

ابتسم والدها وقال بلهجة تجمع بين الجد والهزل:

«اعتقد انني سأضطر الى تنفيذ اعمال طارئة في ولاية اخرى. وبعد المواجهة الأولى، فان لوك نفسه قد يقرر الانضمام اليّ.»

ضحكت سالي وقالت له:

«اياك ان تجرؤ على التخلي عني! سأحتاج الى كل الدعم المعنوي الذي يمكنني الحصول عليه.»

هز جو رأسه بجدية وقال متمتماً:

«لدينا حوالى عشرة ايام لاعداد خطة مواجهة ناجحة.»

ثم تطلع نحو لوك وسأله:

«متى ستعود من سيرفرز بارادايز؟»

«الثلاثاء من الاسبوع المقبل. وما لم اكن مخطئاً، فانني سأضطر للسفر الى اديلايد في اليوم التالي.»

ونظر الى سالي سائلاً:

«كم ستبقى والدتك يا سالي؟»

«ربما؟ بضعة ايام... وربما امضت اسبوعاً بكامله. من الصعب جداً التكهن بخططها مسبقاً. كذلك فان لديها شقيقتين ستصر على زيارتهما اثناء وجودها في استراليا. ولكن المشكلة انهما في مكانين بعيدين هما بيرث وداروين.»

«في هذه الحال، سيكون من الأفضل ان تزورنا اولاً ثم تعود اليك بعد زيارة اختيها لتمضي اياماً قليلة قبل عودتها الى الولايات المتحدة.»

بدأ جو يضحك ثم انفجر مقهقهاً، وقال:

«ان مطلقتي العزيزة ستقوم بالتأكيد باشياء لايتوقعها احد. تعلمت منذ سنوات عديدة ألاّ احاول التخطيط لشيء عندما تكون اميلي قريبة مني.»

انهى لوك قهوته ثم نظر الى زوجته بدفء وحنان قائلاً:

«هيا يا صغيرتي. لنذهب الى البيت.»

اوه. هذه السخرية اللاذعة! انها تثير غضبها بشكل مزعج! وقررت سالي فجأة ان تعطيه درساً لاينساه. رفعت نفسها وقبلته على ذقنه وهي تقول:

«لا تكن مستعجلاً الى هذا الحد، ياحبيبي!»

وشددت على الكلمة الأخيرة بطريقة ملفتة للنظر. فضحك وقال لها بلهجة زادت من غضبها المتأجج في داخلها:

«ابنتها الحبيبة الغالية! انني لا اكشف سراً خطيراً او اشعر بأي خجل على الاطلاق عندما اقترح عودتنا المبكرة الى البيت.»

احمرت وجنتاها بسرعة وتململت. وحتى والدها الذي طالما اعتبرته حليفاً مخلصاً، تخلى عنها اذ قال ضاحكاً:

«هيا. اذهبا! يبدو انني نسيت كيف يشعر المتزوجون حديثاً... وخاصة اولئك الذين يحبون بعضهم!»

لم تتفوه سالي بكلمة واحدة اثناء خروجهما من شقة والدها ونزولهما في المصعد. وحتى في السيارة، احتفظت بصمتها العدائي ورفضت التطلع الا الى الطريق الممتدة امامها. وبعد بضع دقائق سألها لوك بمرح ظاهر:

«هل ستصرين على الاحتفاظ بصمتك طوال الوقت؟»

«انك لا تطاق. فباستثناء اميلي، التي احبها كثيراً، يمكنني اعتبارك ازعج انسان عرفته في حياتي.»

«وانا، طبعاً، لست محظوظاً بما فيه الكفاية كاميلي لكي احظى بحبك!»

دفعتها سخريته تلك الى ذروة الغضب. وعندما اوقف السيارة امام البيت غادرتها بسرعة كبيرة لتبعد عنه قدر الامكان. الا انها اضطرت للانتظار حتى يصل ويفتح الباب الجانبي. وعندما لم يعد امامها مجال للهرب، فقد امسك بذراعها بقوة وسار واياها نحو غرفة النوم. ولما دخلا الغرفة ابعد يده عنها. فقالت له بعصبية بالغة وهي تنظر اليه بتحد ظاهر:

«هل كان من الضروري ان تكون... ان تكون صريحاً الى ذلك الحد امام والدي؟ اين البقية الباقية من حشمتك وتهذيبك؟!»

ضحك فؤاد غضبها وارتفع صوتها عندما اضافت بتوتر ملحوظ:

«انا اعرف على الطبيعة مدى.... شبقك وشهواتيتك! ولكن هل من داع لأن تكشف عنها بمثل هذا الوضوح امام الآخرين؟»

هز رأسه بتململ وقال لها متهكما:

«انا لا افهم حقاً سبب هذا الغضب والانفعال. واذكر جيداً انك تتمتعين كثيراً بهذه التي تسمينها... شهوة حيوانية....»

وازاح رأسه جانباً وامسك بيدها التي كانت قد ارتفعت بسرعة لتنقض على وجهه كالصاعقة. وقال لها بعصبية وهو يمسك بيدها الأخرى بقوة:

«لا، لا يا قطتي الشرسة! انا لا اتعارك مع النساء ولا اضربهن.... ما لم استفز كثيراً. ولكنني اشعر الآن برغبة قوية لكي استثنيك من هذه القاعدة.»

«اياك ان تمسني... لأنني لن اغفر لك ذلك طوال العمر»

تحشرجت الكلمات الأخيرة في حلقها. وطفرت دموع الغضب من عينيها منهمرة بقوة على وجهها الشاحب الحزين. وحاولت الافلات من قبضته فلم تفلح. همست بأنين:

«انك تؤلمني.»

خفف الضغط عن يديها فوراً. ولكنه قال لها بلهجة قاسية:

«ثمّ اوقات اشعر خلالها ان غضبي الشديد الناجم عن استفزازتك وتحدياتك يدفعني الى خنقك بهاتين اليدين وهزك بقوة تفكك عظامك من امكنتها.»

ثم هز برأسه مستاء واضاف قائلا:

«اللعنة على هذه التصرفات، يا سالي! دموعك تربكني... تذهلني! لقد تزوجت على ما يبدو فتاة صغيرة تحارب بقوة وباستمرار كيلا تصبح امرأة! فماذا يا حبيبتي؟ انك لا تفرين مني، فلماذا تخلقين مثل هذه العاصفة بين الحين والآخر؟»

«عاصفة التملك ام التملك العاصف؟ لننس البلاغة والخطابة ونركز على الواقع العملي.»

ثم هز رأسه واضاف بجدية:

«أعترف ان حياتنا معاً تمر منذ البداية بعاصفة هوجاء. ما رأيك في ان تعلن هدنة فيما بيننا؟»

«وهل تعتقد ان بامكاننا تمضية يوم واحد بدون شجار او جدل؟»

ردّ مازحاً:

«كيف لا، ونحن لانجتمع على انفراد اكثر من ساعة واحدة كل مرة؟»

ثم اضاف بهدوء ورصانة:

«سوف نتوجه لزيارة شقيقتي خلال ست وثلاثين ساعة. واقناعها باننا سعيدان في زواجنا، يعني لي الكثير. فهل نتفق منذ الآن على احلال الوفاق بيننا لمدة ثمانية ايام؟»

بلعت سالي ريقها بصعوبة وقالت:

«لن يكون من الصعب انجاز ذلك بنجاح، شرط الا تصبح مزعجاً الى حد لايطاق ولا يحتمل.»

ابتسم بخبث وقال لها:

«أهكذا تتصورينني يا سالي؟ هل نسيت الزوجة العزيزة انني رجل لاتيني؟ وانني، على الرغم من السنوات العديدة التي امضيتها في هذه البلاد، لا ازال محتفظاً بالكثير من اساليبي وتصرفاتي القديمة؟»

«الزوجة يجب ان تكون مطيعة... وخنوعة، وألا تعارض زوجها او تجادله على الاطلاق. يؤسفني ان اقول لك يا لوك انني نشأت وتربيت في بيئة مختلفة لا تقرّ هذه الاساليب او تعترف بها.»

ثم نظرت اليه بهدوء وقالت له بجدية بالغة:

«لا بد من ان نتصادم... واعتقد ان الصدام بيننا امر حتمي لا مفر منه.»

«ربما ففي بعض الاحيان، كهذه الليلة مثلا، تحاولين التفرد برأيك الى درجة الازعاج... وحتى الاستفزاز.»

«ألا يمكنك ان تفهم؟ سيكون الميلاد لهذه السنة اول عيد امضيه بعيدة عن ابي. اضف الى ذلك، انني اعدّ له منذ سنوات عديدة جميع حفلات العشاء التي يقيمها لأصدقائه وزملائه.»

«ولكنه لم يعد بامكانه الاعتماد على خدماتك في هذا المجال، وانت لا يمكنك الاستمرار في القيام بدور المساعدة الاجتماعية له او المضيفة الدائمة في بيته.»

«أهذا ما تتوقعه مني؟»

«انت زوجتي.»

«اوه، عدنا الى هذه النغمة مرة اخرى!»

ثم استدارت نحوه يائسة، وقالت:

«انك تتصرف معي بغطرسة لا تقبل باقل من طاعة عمياء. واذا تجرأت على عدم اطاعتك، فانك تعتقد بأن لك الحق لتأديبي او انزال نوع من القصاص بي! انا ارفض يا لوك ان اعامل كطفلة في بيت والد شرير!»

«وانا، ابنتي الحبيبة، لن اتحمل....»

«انت! انت لاتتحمل! في جميع المناسبات تقريبا التي تناولنا فيها العشاء احدى صديقاتك اللواتي يعتبرنك على ما يبدو صيداً ثميناً سرقته من امام عيونهن! هل تعرف كيف اشعر عندما افكر بأنهن....»

ولم تكمل جملتها تلك بل اضافت مستهلة جملة جديدة:

«اتقزم امام تعاليهن الكريه وتكبرهن الفارغ! ومن المؤكد انهن جميعاً على اقتناع راسخ بأنك وقعت ضحية احدى حالات فقدان الذاكرة عندما تزوجتني، ويتحلقن حولك كالطفيليات بانتظار ان تستعيد ذاكرتك وتّمل من .... زوجتك الصغيرة، البريئة، والمملة.»

«ياعزيزتي سالي، انت نقيض المملين والمضجرين. وبالنسبة الى انسانة اكدت لي في الآونة الاخيرة انها لا تكترث او تبالي لو انني ساهرت مئة امرأة في مئة مناسبة مختلفة، فانك تظهرين الآن غيرة رائعة.»

ثم شدها نحوه وقال باسما.

«هل من الصعب جداً عليك ان تشعري نحوي بالاستحسان.... او حتى بالحب؟»

«نعم! ولن اقع في حبك... ابداً!»

تطاير الشرر من عينيه بطريقة افزعتها، وخاصة عندما سمعته يقول بلهجة قاسية:

«اللعنة، اللعنة! لقد بدأت اقتنع بأن هناك طريقة واحدة اخرسك بها!»

امسك بيديها وجلس على كرسي ثم مددها على ركبتيه وبدأ يصفعها بقوة وانفعال. شعرت بالاذلال وعذاب نفسي لايصدقان وكذلك بألم جسدي.... ورهبة. وسمعته يقول لها بهدوء مزعج بعد ان اعادها الى قدميها

«ها ان لديك الآن سبباً وجيهاً لكي تكرهيني. واندرك بأنني لن اتردد بتكرار هذا القصاص لو تجرأت على استفزازي مرة اخرى.»

ولما تركها وتوجه الى الحمام، انهمرت دموعها غزيرة وراحت تفكر بانجع وسائل الرد والانتقام. انه قاس، متوحش، طاغية! وجلست على حافة السرير وهي تشعر بأن كرهها له يصل الى درجة الحقد والضغينة. انه شرس، بدائي، مجنون! لم تشعر طوال حياتها بجزء يسير من هذا الاذلال الذي يكاد يقتلها! وقررت ان تنام في احدى الغرف الاخرى.

«ماذا تظنين انك تفعلين؟»

«سأنام في غرفة منفصلة.»

«لا، لن تفعلي ذلك على الاطلاق.»

لم تخفها هذه المرة نظراته الثاقبة والحادة، وقررت مواجهة الغضب بغضب اشد واقوى:

«اذا كنت تتصور للحظة واحدة انني سأتقبل مغازلتك ومداعبتك بعد هذه.... هذه....»

واختنقت الكلمات في حنجرتها. ولكن، عندما اخذ الوسادة والغطاء من يديها ورماها ارضا، صرخت به وهي تحاول ضربه على صدره ووجهه:

«انك لست اكثر من سادي متوحش وشرس يا لوك انغريتي!»

طوقها بذراعيه القويتين ليشل حركتها، ثم قال لها:

«انك تتصرفين كطفلة مدللة. اهدأي وهيا بنا الى السرير.»

«لا اريد الذهاب الى السرير... على الأقل ليس معك انت.»

لمعت عيناه بخبث وهو ينظر اليها بتأمل وتفحص قبل ان يركز نظراته على شفتيها ويقول:

«انك لست ماهرة في الكذب، ياصغيرتي!»

٨ ـ الهدنة

كان السرور والانشراح باديين على وجوه معظم المسافرين من سيدني الى بريسبان وقالت سالي لنفسها ان السبب في ذلك يعود بالتأكيد الى الأعي واجوائها واجازاتها. وعندما حطت الطائرة شعرت سالي بتوتر شديد وهي تس قرب لوك بشيء من التردد والرهبة. فكرت ان لقاء شقيقته يقلقها ويث مخاوفها، مع ان مشاهدة الاطفال ستكون بلا شك حدثاً ممتعاً ومختلفاً عما تقوم يوماً. وابتسمت سالي بصمت... ثلاثة اولاد كبيرهم في الرابعة! انه حقاً لأ مثير!

«آه. هذا هو فرانك.»

وتطلعت سالي الى حيث يشير لوك فتبين لها ان صهره ينتظرهما بمفرد وفهمت من الحديث المتبادل بين الرجلين اثناء توجههم من المطار الى البيت ب انجلينا فضلت الانتظار في البيت على الحضور مع اولادها الثلاثة، وذل لعدة أسباب وجيهة. فهي لا تحب ابقاء اولادها الصغار مع شخص آخر، والرد بين البيت والمطار تستغرق ساعة كاملة مما يفرض عليهم الجلوس في السيارة ه ساعتين بالاضافة الى اضطرارهم للبقاء في المطار حوالى ساعة ثالثة. وكذلك ف وجودهم مع والدتهم في السيارة سوف يضايق لوك وزوجته.

بدت سيرفرز بارادايز بلدة سياحية نشطة، ولاحظت سالي بشغف رو مناظرها الطبيعية وشواطئها النظيفة.

وما ان توقفت السيارة امام منزل حديث مبني من القرميد، حتى هرع صبيان صغيران نحو خالهما الذي فتح لهما ذراعيه وحملهما بمحبة واضحة وهو يقبلهما بحنان ويدفن رأسه بينهما. تأثرت سالي بهذا المشهد العاطفي فاغرورقت عيناها بالدموع. ما أروع الاطفال... وما أجمل المحبة الخالصة الحقيقية!

«اذاً، انت هي سالي!»

التفتت سالي نحو السيدة التي تحمل طفلها على ذراعيها، ثم ابتسمت وقالت:

«وانت، بالتأكيد، انجلينا. انا مسرورة بمعرفتك.»

ابتسمت انجلينا الجميلة وقالت بفخر واعتزاز ومرح:

«هذان الرهيبان الصغيران اللذان يتصرفان مؤقتاً بتهذيب مع خالهما هما جيمي ولويجي وهذا الملاك الصغير الذي يبتسم لك هو طفلتنا الحلوة ليزا.»

ابتسمت سالي لدى سماعها أصوات الصبيين الصغيرين ترتفع الى درجة الصراخ، وضحكت انجلينا قائلة:

«لندخل الى البيت. فرانك سيحضر الحقائب.»

دخلا القاعة الكبيرة المؤثثة بطريقة بسيطة ولكنها تدل على ذوق رفيع وحسن اختيار.

«هيا، هيا، ايها الحبيبان الغاليان. انزلا قليلاً كي اتمكن من التحدث مع امكما.»

انزل لوك الصبيين ثم اخذ الطفلة الصغيرة من يدي والدتها وداعبها ثم اعطاها لسالي وبدأ يتحدث مع اخته. ودخلت انجلينا على الفور في صلب الموضوع الأهم قائلة له بمرح وسرور ظاهرين:

«يبدو ان الزواج يناسبك كثيراً ايها الشقيق الحبيب.. كنت قد بدأت أخشى انه لن يتزوج على الاطلاق ويصبح والداً. انه رائع وفريد هذا الشقيق يا سالي! يا لك من فتاة محظوظة.»

ابتسمت سالي بمكر وهي تنظر الى لوك، ثم قالت بصوت حالم ولهجة مقنعة:

«وانا من رأيك يا انجلينا. انه حقاً رجل رائع.»

ضحك لوك وعلق على الملاحظتين بقوله:

«يمكنني ان اصاب بالغرور بسرعة وسهولة نتيجة لهذا الاطراء المتدفق من اقرب سيدتين الى قلبي.»

«سأترككما الآن لكي تبدلا ثيابكما وتفرغا حقائبكما. ثم نلتقي جميعاً في قاعة الجلوس لنشرب بعض المرطبات قبل تناول الغداء.»

تطلعت سالي نحو لوك بعد مغادرة شقيقته وقالت له:

«يبدو واضحاً جداً ان اولاد اختك يعتبرونك المثل الأعلى.»

«هل تجدين صعوبة في قبول حقيقة ان بعض الاشخاص يحبونني هكذا؟!»

«اوه، بحق السماء! توقف عن استخدام التهكم والسخرية!»

ثم نظرت الى السريرين التوأمين في الغرفة وسألته بهدوء وهي تشير اليهما:

«ايهما تريد؟»

«ابتسم بخبث واضح واجابها وهو يخلع سترته:

«عزيزتي سالي! هل هناك من اختلاف كبير؟ ألن نستخدم واحداً منهما فقط؟»

«اوه! توقف. اعتقد اننا اتفقنا على هدنة موقتة طوال الايام الثمانية المقبلة!»

«كنت امزح معك فقط ياصغيرتي. بالمناسبة، في اي حقيبة وضعت هدايا الأطفال؟»

تعمدت ازعاجه بالتظاهر بعدم فهم سؤاله ولكنها لما شعرت بأنه تأثر وانفعل قليلاً، رفعت يديها مستسلمة، وقالت:

«حسناً، حسناً! أسفة! اعتقد ان اولاد اختك رائعون... وبخاصة ليزا.»

لم تتمكن من اخفاء ابتسامتها وهي تحاول اغاظته قليلاً. ثم تابعت:

«هاتان الغمازتان في خديها! وهذه الابتسامة! انها ستكون محط انظار الشباب عندما تكبر قليلاً.»

انحنى لوك وفتح احدى الحقائب ثم اخرج منها سراويله وقمصانه اقتربت منه سالي ووضعت يدها على كتفه ثم قالت:

«دعني اهتم بهذه الأمور. سأعلق الثياب كلها بالطريقة المطلوبة كي تظل في

وضع جيد.»

«انك تتحدثين الان كزوجة.»

«يبدو انني لك... في السراء والضراء!»

«وبما انني لست بأفضل من متوحش شرس، فانك معي فقط في الضراء... أليس كذلك؟!»

لم تتمكن سالي من الرد عليه، اذ شعرت بان الكلمات علقت في حلقها. فمنظره مع الصبيين الصغيرين كشف جانباً منه لم تكن تعرفه من قبل وجعلها تعجب به وتميل اليه اكثر مما تريد او تتصور. وقالت له بهدوء فيما كانت تعلق قطعة الثياب الأخيرة في خزانة الملابس:

«انك لغز محير في بعض الأحيان.»

ثم اشارت الى الملابس التي سترتديها عوضاً عن ثياب السفر، وقالت:

«اريد ان اغير ثيابي فهل ادرت ظهرك... من فضلك؟»

ضحك بمرح ظاهر وقال لها وهو يوجه اليها نظرات شيطانية تثير الاعصاب الباردة:

«اني اعرف تماماً كل سنتيمتر في جسمك ياصغيرتي، فلماذا التظاهر بعكس ذلك؟!»

احمرت وجنتاها بسرعة واستدارت نحو الطرف الآخر للغرفة حيث بدأت تفرغ حقيبتها وتضع الملابس في اماكنها بهدوء وتمهل. وتصورت انه يفرح بازعاجها ويسرّ باثارتها واغضابها. ثم سمعته يقول وهو يهم بمغادرة الغرفة:

«سآخذ الآن حماماً بارداً. لديك حوالي ست دقائق قبل ان اعود.»

استبدلت ثيابها ووضعت ملابسها الباقية في الخزانة ثم نظرت الى ساعة يدها. وما هي الا لحظات حتى عاد لوك من الحمام فتركا الغرفة سوية وتوجها الى قاعة الجلوس. ولما شاهد الصبيان خالهما يطل عليهما هرعا اليه.

كانت انجلينا ودودة جداً ومنفتحة، ولم تجد سالي صعوبة في مبادلتها بالمثل. عرضت عليها المساعدة في المطبخ وبالاهتمام بالأولاد... فقبلت مسرورة

وشاكرة. ومع ان جياني ولويجي كانا حذرين قليلا في البداية لكنهما نسيا خلال فترة قصيرة خجلهما من... السيدة الغريبة وراحا يلعبان ويتحدثان معها بحرية ومحبة.

تناول الجميع غداء شهياً ثم عهد الى الرجلين بمهمة الاشراف على الاولاد بينما توجهت السيدتان الى المطبخ وخلال وجودهما معا على انفراد، علمت سالي شيئاً ادهشها الى حد ما.

«هل يقضي لوك عيد الميلاد معكم دائماً؟»

نظرت اليها انجلينا باسمة وردت على سؤال ضيفتها وزوجة اخيها قائلة:

«اننا نقضي فترة الميلاد معاً... ليس بالضرورة هنا، بل معاً. احياناً نذهب جميعاً لقضاء العطلة في سيدني. هل تعرفين لوك منذ زمن بعيد؟»

كان السؤال حشرية حقيقية وبريئة، فردت عليها سالي بعد ان قفعت بالجواب قبل ان تتفوه بأي من كلماته:

«منذ حوالى ثلاثة اسابيع. حدث كل شيء بسرعة كالاعصار...»

«لوك مشهور باتخاذ قرارات فورية ومفاجئة. وكما اعرفه، فانه بالتأكيد لم يفسح لك مجالا للرفض او المعارضة.»

«هذا ما حدث بالفعل!»

ردت عليها سالي بكلمة واحدة، بعدما بدا ان الحديث بينهما يتحول الى نوع من الاستجواب الذي لا تحبه وخاصة اذا طال او تفرع. وقررت على الفور تحويل انتباه مضيفتها عن هذه المسألة فطرقت موضوع الطبخ مركزة على المأكولات الايطالية التي كان واضحاً أن انجلينا تفضلها على غيرها وتتفوق فيها. وما ان انتهى حديث الطبخ والأطعمة حتى كانت السيدتان قد انهتا عملهما في المطبخ وقررتا الانضمام الى زوجيهما في قاعة الجلوس.

الا انهما عندما انفردتا مرة اخرى في المطبخ لاعداد العشاء، حصلت سالي على ايضاحات وافية ومفصلة عن ارتباطات لوك الماضية مع عدد كبير من النساء. وحاولت جاهدة ان تبدو تلك الشابة المتزوجة حديثاً نتيجة حب جارف، والتي تثق الى حد كبير بحب زوجها لها لدرجة ان ما من شيء يمكن ان يزعزع

العلاقة الأبدية القائمة بينهما. وقالت بهدوء مصطنع:

«كنت اعرف عن لوك انه زير نساء من الطراز الأول. انه رجل جذاب... يضج حياة ونشاطاً وسيكون من البلاهة ان يتوقع منه احد ان يعيش حياة ترهب وعفة!»

«كانت مجالات الاختيار بالنسبة اليه كبيرة جداً، ولكنني اشك كثيراً في انه اعار ايا منهن اهتماماً جدياً.»

ثم نظرت الى سالي بشيء من القلق وسألتها بلهفة:

«انت تحبينه، أليس كذلك؟ لن يمكنني ان اتحمل او ان اتصور انك، لاسمح الله، قبلت الزواج منه بسبب ثرائه.»

اللعنة! ها انها تعود الى الاستجواب والتمادي في توجيه الاسئلة الشخصية المحرجة! درست سالي جوابها بتمعن ودراية وقالت وهي تحاول قدر استطاعتها تمالك اعصابها والحد من غضبها:

«انا لم اتزوج لوك بهدف تحقيق اي مكاسب مادية.»

«اني في غاية السرور يا سالي.»

وبدت انجلينا وكأنها على وشك البكاء من شدة السعادة والتأثر. وقررت سالي ان عليها التظاهر بحب لوك طوال ثمانية ايام... ان لم يكن لأي سبب سوى اسعاد هذه السيدة اللطيفة المحبة. وبرعت في دورها لدرجة ان لوك قال لها مازحاً:

«ايتها الحبيبة، انك مقنعة جداً! ما من احد في العالم يمكنه ان يشك في حبك الخارق لي.»

واصبح البالغون الأربعة احراراً. حل الارتياح محل القلق... والبهجة والانشراح محل الجدية والشكليات. وامضوا عدة ساعات يتبادلون الاحاديث الممتعة وهم يعلقون الهدايا الصغيرة على شجرة الميلاد ويضعون الكبيرة منها تحت اغصان الشجرة الخضراء. ثم انتقل الجميع الى الشرفة حيث جلسوا يتسامرون ويتمتعون ببعض البرودة في ذلك الطقس الحار.

وفي وقت متأخر قام الضيفان ومضيفاهما الى غرفتيهما بعد ان تمنى كل فرد

منهم للآخرين ليلة هانئة... وتسيأ عليلاً، ولما دخل لوك وسالي غرفتهما نظرت اليه وهي تحاول يائسة سبر اعماقه او التكهن بخطواته وتصرفاته التالية. ثم قالت له:

«سأنام في السرير المحاذي للنافذة، ان لم يكن لديك اعتراض على ذلك.»

لم يجبها، فنزعت قميصها بسرعة وارتدت ثياب النوم الخفيفة قبل ان تسنح له فرصة تاملها بدقة وعناية. فعلى الرغم مما حدث بينهما طوال الاسابيع الثلاثة الماضية، لاتزال تشعر بازعاج كبير وخجل مؤلم كلما حان الوقت لخلع ملابسها امامه. واستدارت نحوه ببطء وهي تقول بلهجة اقرب الى التوسل منها الى الطلب العادي:

«لو قلت لك صراحة انني متعبة... واعاني صداعاً... فهل...»

انهى جملتها وهو يتأملها برغبة واضحة:

«اتركك تنامين بمفردك ودون ازعاج؟»

ثم ابتسم وسألها بمكر:

«وهل تعاني صغيرتي حقا من وجع في رأسها؟»

«نعم، صدقني!»

«تعالي الى هنا.»

قالها بلهجة هادئة وناعمة ولكنها تحمل في طياتها نبرة حديدية لاتقبل الرفض او الاعتراض. اقتربت منه بخطى بطيئة وكأنها تواجه الجلاد. امسك لوك بخصلة من شعرها ووضعها بتمهل وراء اذنها ثم وضع يده على خدها وراح ينظر اليها فاحصاً ومحللاً. وبعد لحظات تخيلتها دهراً، افتر ثغره عن ابتسامة خفيفة وقال:

«مهما كانت اسباب كرهك لي، فأنا يا حبيبتي لست فاقد الاحساس الى الدرجة التي تتصورين. اختاري السرير الذي يعجبك، فمن الواضح انك تريدين النوم بمفردك وانا لن امنعك من ذلك.»

ثم احنى رأسه قليلاً وطبع قبلة حنونة على جبينها. قاومت سالي بشدة رغبة قوية في ان ترفع ذراعيها وتطوق عنقه بمحبة وحنان. فدماثته ورقته اخترقا قلبها

ولمسا وتراً عميقاً في مشاعرها وعواطفها. وما ان استلقت على السرير ووضعت رأسها على الوسادة، حتى اطفأ لوك النور وتوجه الى السرير الآخر.

استيقظت سالي على اصوات اطفال صغار... ليزا تبكي والشقيقان الصغيران يصرخان بفرح وحماس واضحين. نظرت الى ساعة يدها... انها السادسة! رفعت رأسها قليلا فشاهدت لوك ينتهي من ارتداء ثيابه. حيته بابتسامة صادقة:

«صباح الخير. ميلاد سعيد.»

لا جدال اليوم ولا غضب او انقباض. انه الميلاد... يوم الهدايا والاطفال، والبهجة...

رد عليها لوك برقة قائلا:

«كل عيد وانت بخير، ايتها الجنية. هل نمت جيداً؟ هل زال الصداع؟»

«نعم... اوه، اسمع الصبيين كيف يضحكان ويصرخان!»

«ألا تذكرين انك كنت تفعلين الشيء ذاته ياعصفورتي الصغيرة؟»

واستغربت سالي: اين التهكم والسخرية في لهجته؟ اين الكلام القاسي والانتقاد اللاذع في حديثه؟ هل بدأ يتغير ويتبدل على هذا النحو الجذري؟ قامت من السرير وسألته بهدوء:

«هل من المبكر جداً ان نذهب اليهم الآن؟»

«اتصور ان انجلينا تجد صعوبة كبيرة في اصواتهم، وخاصة جياني ولويجي الى ادنى حد ممكن. وذهابنا اليها الآن سيسعدها و... يريحها.»

«متى يسمح للصبيين بفتح هداياهما؟»

«آه يا سالي! هل نسيت ايام طفولتك؟ اولا، نتناول جميعاً فطورنا ثم نذهب للصلاة. وبعد عودتنا... نفتح الهدايا.»

ردت عليه بهدوء وقد اصيبت بدهشة خفيفة:

«انا لست من مذهبك!»

نظر اليها بحنان وقال لها بجدية دمثة:

«انا لا اعلق اهمية كبرى على هذه الفوارق البسيطة والثانوية يا سالي. المهم ان تكون مؤمنين بالله عز وجل وان تصلي له بصدق واخلاص»

ركبوا جميعاً السيارة الكبيرة وتوجهوا الى الصلاة. فرانك يقود السيارة، سالي تحتضن جياني، لوك يضع لوجي على احد ركبتيه، وانجلينا تضم ليزا الى صدرها.

لدى عودتهم الى البيت، كان الصبيان اول من غادر السيارة... كل من الباب القريب اليه. وانتظرا الكبار امام الباب وهما يرقصان فرحا وتشوقا للهدايا الجميلة التي سيحصلان عليها. وبمجرد دخولهم جميعاً الى البيت، شعرت سالي بأنها حقاً احد افراد العائلة... وانها عادت من جديد طفلة صغيرة تفتح الهدايا وتراقب صديقاتها واصدقائها يفعلون الشيء نفسه بسرور وبهجة.

كانت هناك ثلاث هدايا لها... سوار جميل من فرانك وانجلينا، مجموعة من العطور ومستحضرات التجميل من الأولاد... وعقداً رائعاً من لوك اثار اعجاب الجميع. انهمرت دموع الفرح من عينيها وهي تشكرهم فرداً فرداً. قبلت الطفلة الصغيرة، والصبيين اللذين احمرّ وجههما خجلاً، ثم انجلينا وفرانك، ووصلت الى لوك. وبدون اي تظاهر او ادعاء، رفعت نفسها نحوه وقبلته بحنان وامتنان.

تلقى لوك هدية رائعة... لوحة زيتية تمثل باخرة سياحية تعبر المحيط في خضم عاصفة هوجاء. وكانت انجلينا قد امضت عدة اشهر في رسمها واعدادها على هذا النحو الرفيع والدقيق. وقالت شقيقته برقة ومحبة وهي تقدم هديتها:

«لوحة تذكرك برحلتنا من ايطاليا ايها الأخ الحبيب.»

وشعرت سالي ان زوجها تأثر جداً بهذه البادرة، لأن ملامحه غرقت في بحر من الحنان الحقيقي والانفعال العاطفي المخلص. وجاء دور سالي لتقديم هديتها الى زوجها. وتذكرت على الفور الصعوبة البالغة التي واجهتها قبل ان تتمكن من التوصل الى قرار نهائي. فماذا كان يمكنها ان تهدي رجلا يبدو انه يملك كل شيء؟ وبعد بحث مرهق، قررت ان تهديه ولاعة مذهبة من صنع احدى اشهر

الشركات العالمية وعلبة مذهبة لسكائره. وحفرت على كل منهما الحرفين الأولين لاسمه.

تم الاتفاق على تناول طعام الغداء في تمام الواحدة. فتركت سالي وانجلينا زوجيهما يلاعبان الصبيين وذهبتا الى المطبخ لاعداد الطعام. كانت الوجبة التي اعدتها المضيفة متنوعة وشهية للغاية. فأثنت عليها سالي كذواقة في الأكل وكطاهية محترفة تعد افضل المأكولات واشهاها.

وشهد اليوم التالي سابقة للأيام التي تلت.

لم تكن هناك حفلات او لقاءات اجتماعية طوال فترة وجودهما في سيرفرز بارادايز. وكشفت انجلينا لسالي ان ذلك يعود الى رغبة لوك في تمضية عطلة عائلية هادئة. وقالت:

«اننا لا نرى بعضنا معظم ايام السنة. وعندما تسمح لنا الظروف باللقاء، نرغب في تمضية الوقت بكامله مع بعضنا فقط.»

كان الأولاد مبعث سرور وبهجة لسالي. وكانت تشعر مع انتهاء كل يوم بالحزن والأسف لأن موعد عودتها الى سيدني يقترب، ولأنها ولوك سيعودان بالتأكيد الى الوضع السابق من الكراهية والمشاكسة والاستفزاز. ولاحظت باستغراب ودهشة انهما، على استحالة تصديق ذلك، لم يتبادلا كلمة قاسية واحدة وهما باستضافة انجلينا وزوجها. كما ان لياليها مرت كالخيال وكما في قصص الاساطير... كان لوك يداعبها ويغازلها برقة وحنان تذيب مقاومتها وتشل اعتراضاتها وكانت تنتظر بفارغ الصبر انتهاء السهرة مع انجلينا وفرانك وتوجههما الى غرفتهما. وباستثناء الليلة الأولى، فانهما لم يستخدما سوى سرير واحد فيما ظل الآخر يئن حسداً وغيرة.

ولما حلّ اليوم الثامن ولم يعد يفصلها عن موعد توجههما الى المطار الا ساعة واحدة، اخذتها انجلينا جانبا وقالت لها بلهفة واهتمام:

«انتبهي الى اخي، واعتني به.... فهو بحاجة لزوجة مثلك، حنونة ومحبة. وتتمكن من اسعاده وادخال البهجة والانشراح الى قلبه.»

ثم ابتسمت وهي تنظر الى سالي بعطف ومحبة، واضافت قائلة:

«احبيه كما يستحق. ارجوك، بل اتوسل اليك.»

وعدتها سالي بذلك... بكلمات متقطعة وصوت متحشرج وتأثر حقيقي واضح. وكان من حسن حظها ان ليزا استيقظت باكية فهرعت امها للاهتمام بها.

انضم الأولاد الثلاثة الى والديهم في مرافقة خالهم وزوجته الى المطار. ومع أن قطع المسافة يستغرق ساعة كاملة فقد تصرفوا جميعا بهدوء ادهش الوالدين والضيفين. وفي المطار، كان الوداع مؤثرا جدا... وكانت الدموع سيدة الموقف. وشعرت سالي انها تعرف هذه العائلة الطيبة منذ ثمان سنوات وليس ثمانية ايام. انهم حقا رائعون... وتمضية العطلة معهم كانت ذروة السعادة وقمة الانشراح والسرور. وبدأت تتطلع قدما بشوق ومحبة الى اللقاءات المقبلة و...

اقلعت الطائرة، فأخذت مجلة وراحت تتصفحها بسرعة علها تتمكن من اخفاء دموعها والهاء نفسها عن التفكير بالايام الثمانية الماضية. ولم تتفوه سالي بشيء طوال تلك الرحلة القصيرة الى سيدني، باستثناء بعض الجمل المقتضبة التي كانت ترد بها سلبا او ايجابا على المضيفة. وشعرت بشيء من الارتياح عندما حطت الطائرة، ولما وصلت الحقائب، رفض لوك عرضها بأن تحمل احداها حتى خارج المبنى. وامام المدخل الرئيسي حيث طلب منها الانتظار قرب الحقائب كي يذهب لاحضار السيارة، اخذت سالي تفكر بالمنزل الذي اصبح بيتها. وبكارلو المساعد والصديق. واخيراً بوالدها جو. اه! لو كانت المشاعر مختلفة، لكانت الأمور...

احضر لوك السيارة واوقفها على بعد خطوتين من سالي. التي تنهدت بارتياح وفتحت بابها ثم ألقت بنفسها على مقعدها الأمامي بصمت وهدوء. وبعد ان وضع الحقائب في صندوق السيارة وجلس وراء المقود، التفت نحوها وقال محاولا الترفيه عنها:

«الى اين اوصلتك افكارك، او بالاحرى... بماذا تفكرين؟ يبدو انك مستغرقة في تفكير حالم او حزين... حتى انك لم تتفوهي بكلمة منذ مغادرتنا بريزباين.»

«كانت هدنة لا بأس بها على الاطلاق. أليس كذلك؟»

اجابها بصوت عكس بعض الشيء مكراً وتهكماً اثار فجأة شعور الازدراء الذي دفنته تحت قشرة رقيقة، كالنار تحت الرماد. فقد قال:

«انا متأكد من ان اختي مقتنعة بأن زواجنا مثالي.»

«ونحن، بالطبع، نعرف ان الأمر مختلف تماماً.»

«اسمعي ياصغيرتي! اريدك ان تطردي من رأسك هذه الخطط الشيطانية التي بدأت تبرز بمجرد اقترابنا من البيت.»

نظرت نحوه بغضب وشراسة وقالت له بحدة بالغة:

«اي خطط يمكنني اعدادها يا لوك؟ انني مقيدة بسلاسل اقوى من الحديد وسأظل على هذا النحو طالما اردت انت ذلك. وحتى لو سمحت لنفسي بمجرد التفكير في هجرك، فان تهديدك بسحب دعمك المادي لوالدي سيشكل بالتأكيد رادعاً كافياً.»

وأزاحت وجهها عنه بعصبية لأنها لم تعد تتحمل تلك النظرات المزعجة والملامح القاسية. ثم تمتمت بحدة وأسى:

«مسكين هذا الطفل الذي، ستكون ولادته صعبة وحزينة مثلما كان الاتفاق على تكوينه... ومثل الاسلوب المتبع لتحقيق هذا الاتفاق!»

«اللعنة! اللعنة!»

سارعت سالي الى مواجهة غضبه العارم وتفسير جملتها القاسية قائلة بصوت مرتفع نسبياً:

«وما هي الفرص المتاحة امام طفل يعيش مع والدين يكرهان بعضهما؟ هذه ليست الطريقة المثلى للحصول على اولاد وتربيتهم... انهم بحاجة للحب، للاستقرار، للشعور بالانتماء الى عائلة واحدة متكاملة...»

«كفى، كفى، بحق السماء! هل يجب علي مواجهة هذا التوبيخ والتعنيف وانا في خضم هذا البحر الهائج من السيارات والآليات والزحام؟»

صمتت سالي رغماً عنها وراحت تحدق بدون تركيز او اهتمام على الشوارع الممتدة امامها وعلى المباني المزروعة على الجانبين بشموخ وكبرياء. وما ان اوقف لوك السيارة امام المنزل حتى فتحت سالي الباب وهمت بالخروج. امسك

يها بقبضة فولاذية وقال لها بنعومة خبيثة:

«لا، ياعزيزتي، ليس بهذه السرعة! فقبل فرارك الى البيت ستجيبين على السؤال التالي:»

ولمعت عيناه ببريق من الغضب الهادئ الذي يبعث فيها الخوف والارتعاش. هز رأسه وهو لا يزال ممسكاً بذراعها، ثم سألها:

«ما الذي يدفعك الى الاعتقاد بأن اطفالنا سوف يحرمون من الحب... حبك وحبي؟»

«كيف ستكون حياتهم سعيدة وتبشر بالنجاح، ونحن على خصام وخلاف دائمين؟»

«ألا يمكنك تصور وقت ما نمتنع فيه عن الحرب والقتال؟»

لم يعجبها تهربه من الاجابة مباشرة على سؤالها الجاد، فنظرت اليه شزرا وركضت باتجاه الباب. وما ان دخلت البيت، حتى تسمرت في مكانها... وقالت بصوت لا يكاد يسمع:

«امي! اميلي... ماذا تفعلين هنا؟»

رفعت والدتها احد حاجبيها وقالت:

«اعربت لك يا ابنتي العزيزة عن رغبتي في الحضور، وها قد حضرت. فلماذا الدهشة والاستغراب؟»

كانت اميلي ترتدي فستاناً انيقاً للغاية وقد سرحت شعرها بطريقة حديثة وجذابة. ولاحظت سالي، ربما للمرة الأولى في حياتها، ان ما من اوجه شبه على الاطلاق بينها وامها. وعادت الى السؤال بدون ان تلاحظ ان لوك اصبح وراءها:

«اعني... اعني كيف دخلت؟ نحن غائبان... وكذلك كارلو!»

ابتسمت اميلي وقالت وهي تفتح ذراعيها لاحتضان ابنتها:

«حبيبتي سالي! اتصلت بوالدك فأخبرني عن موعد عودتكما، فأعددت رحلتي على هذا الاساس. كان ابوك ينتظرني في المطار حيث اهتم بحقائبي واغراضي، ودعاني الى الغداء هناك. ثم اوصلني الى هنا قبل ساعتين تقريبا. افرغت ما احمله

من ثياب واغراض في احدى غرف الضيوف التي اعدها لي كارلو»

ثم ازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تنظر الى ما وراء ابنتها وتقول:

«والآن، دعيني اتعرف على صهري العزيز»

وقفت سالي صامتة مذهولة، وتقدم لوك خطوتين وطوق خصر زوجته بذراعه اليسرى، فيما مد يده اليمنى ليسلم على اميلي التي قالت له:

«يمكنك ان تناديني باسمي الأول، اميلي. ابنتي فقط تستخدم معي كلمة امي، مع انني افضل مناداتي باميلي.»

ثم نظرت اليه باعجاب واضح، واضافت:

«انك تبدو ايطالياً الى ابعد الحدود. وبما انك طويل القامة، فمن المؤكد انك تأتي من الأقاليم الشمالية.»

وتطلعت حولها الى المفروشات والاجهزة ومضت الى القول:

«ومن المؤكد ايضا انك واسع الثراء. فهذا... هذا القصر بلا شك ليس كوخاً لفقير معدم أو منزلاً عادياً لانسان متوسط الحال.»

هز لوك برأسه ثم قال لها بتهذيب وهدوء:

«تفضلي! لنذهب الى قاعة الجلوس. هل تحبين فنجاناً من القهوة يا اميلي؟»

«ملعقتان من البن وملعقة من السكر.»

واثناء شربهم القهوة، سألت سالي امها:

«هل كانت رحلتك موفقة؟»

«طبعا، طبعا.»

«كم تتوقعين ان تطول اقامتك هنا؟»

وجهت نظرة ثاقبة الى ابنتها وقالت:

«معك انت يا حبيبتي! بالضبط ما مجموعه ثمانية ايام... خمسة الآن، ثم اتوجه الى بيرث لتمضية اسبوع اذهب بعد ذلك الى داروين لأقضي فترة مماثلة. وانوي

تمضية الايام الثلاثة الأخيرة معك هنا في سيدني.»

تذكرت سالي زوج امها الاميركي الوسيم والطيب وسألتها:

«كيف حال جانك هذه الأيام؟»

«انه بخير، منشغل جداً، ولكنه بخير الاعمال الضخمة تستهلك اوقات رجال الاعمال الناجحين.»

ثم نظرت الى لوك فجأة وسألته:

«ما هي طبيعة عملك يا لوك؟»

رد عليها لوك بهدوء المضيف المهذب قائلا:

«املك وادير شركة للاستشارات التجارية والتمويل.»

«لا ضرورة للسؤال عن مدى نجاح الشركة، فاني ارى الجواب كيفما تطلعت.»

هز لوك رأسه وهو يحاول اخفاء تبرمه، فيما اختارت سالي الابتعاد عن امها وملاحظاتها، تطلعت نحو زوجها متظاهرة بالعشق والهيام وقالت:

«حبيبي، تحدث مع الوالدة بينما ارى مع كارلو ماذا يمكننا اعداده للعشاء.»

وفي المطبخ حيت كارلو بابتسامة عريضة وهي تعرب عن ارتياحها لما يقوم به، قائلة:

«اوه، ان رائحة الطعام شهية ولذيذة للغاية، هل من شيء يمكنني المساعدة فيه؟»

هز كارلو رأسه نفيا وقال:

«انك تبدين رائعة يا سالي، هل تمتعت بالعطلة؟»

ردت بعناية وهدوء:

«كانت رحلة مريحة جداً، اولاد انجلينا رائعون ويدخلون الفرح الى قلوب الجميع. بالمناسبة، اي غرفة اعددتها لوالدتي؟»

«الأقرب الى الدرج.»

ثم ابتسم بحياء واضاف قائلا:

«انها... انها قوية جدا و....»

ضحكت سالي وهي تقاطعه قائلة:

«ومتسلطة ايضا؟ يجب ان يمضي الانسان بعض الوقت معها قبل ان يعتاد على

كلامها وتصرفاتها. سر النجاح معها يكمن في عدم السماح لها بارهابك.»

بعد قليل عادت سالي الى غرفة الجلوس وقالت لوالدتها وزوجها:

«سيكون الطعام جاهزاً خلال خمس دقائق.»

رفعت اميلي نظرها الى ابنتها ثم ابتسمت بدماثة ووداعة قائلة:

«كان لوك يخبرني اثناء غيابك في المطبخ تفاصيل لقائكما.»

بلعت سالي ريقها بصعوبة وارغمت نفسها على التعليق بارتياح مصطنع:

«اوه، من المؤكد انه حديث ممتع ومثير للاهتمام.»

«يجب ان اشتري اغراضي خلال الايام القليلة المقبلة. لوك ابلغني بانه مضطر لمغادرة سيدني بضعة ايام، ولذا فانه سيكون لدينا متسع من الوقت نمضيه بمفردنا نثرثر وتطلع كل منا الأخرى على اخبارها وحكاياتها.»

اللعنة! فهذا يعني ان المعلومات التي لم تتمكن اميلي من اغراء لوك باطلاعها عليها ستحاول استخلاصها من ابنتها. وهذا يعني ان الايام المقبلة سوف تكرس للاستجواب الانتقامي! ابتسمت وقالت لها بمرح:

«العشاء جاهز! تفضلا!»

٩ ـ العودة

«سالي، حبيبتي، ماذا سنفعل اليوم؟»

نظرت سالي الى الجانب الآخر من الطاولة الصغيرة المتخصصة لتناول الفطور، وهزت برأسها قائلة دون اكتراث:

«كما تريد... الأمر عائد اليك.»

كان مضى يومان على سفر لوك، وكانت سالي تشعر نتيجة لذلك بشيء من الضياع وعدم القدرة على التركيز. امضت اليوم السابق مع امها تتنقلان بين المحلات التجارية التي يغص بها قلب المدينة. واعربت اميلي عن رغبتها في تكرار الجولة في ذلك اليوم ايضاً. لم تعجبها كثيراً فكرة التجول في شوارع المدينة بلا هدف معين او خطة محددة بحثاً عن الثياب التي تريد امها شراءها. كما ان اسلوب اميلي في المساومة ومجادلة البائع لم يرق لها على الاطلاق، الا ان اي نشاط كان افضل من البقاء في البيت حيث تذكّرها بزوجها كل حركة، وكل قطعة اثاث...

«أيتها الابنة العزيزة! يبدو عليك بوضوح انك تشعرين باليأس والملل. اتصلي بوالدك... سنتناول معه اليوم طعام الغداء. اطلبي منه ان يوافينا الى احد المطاعم الراقية... فالغداء على حسابي.»

ثم ابتسمت وقالت:

«افضل علاج للأحزان هو القيام بجولة للتسوق.»

ورفعت احد حاجبيها بمكر واضافت:

«اتصوّر ان امكانات لوك المادية تسمح له بتدليلك بين الحين والآخر. هيّا، اسرعي في الانتهاء من قهوتك كيلا نهدر وقتاً ثميناً.»

وكان هذا ما حدث فعلاً: فقد داخ رأس سالي وهي تتبع اميلي من شارع الى آخر ومن هذا المحل التجاري الى ذاك. وكانت اميلي تشتري المزيد وتدفع المزيد. ماذا ستفعل بكل هذه الثياب الجديدة؟

وصلت اميلي وسالي الى المطعم الفاخر الذي وقع عليه اختيارها، وبعد خمس دقائق فقط وصل جو. طلب الثلاثة بعض المقبلات لما كانوا يدرسون قائمة الطعام ويتبادلون الآراء حول انواع المأكولات وطرق اعدادها. شعرت سالي بان شهيتها الضعيفة لن تسمح لها الا بكمية قليلة من الحساء، وبقطعة من الحلوى تأكلها مع والديها عندما ينتهيا من الطبق الاساسي. مازحها جو قائلاً ان السبب في ذلك يعود بالطبع الى غياب لوك. وألمح الى سبب اكثر جدية واهمية... فنفته بسرعة وبقوة، مع انها قالت لنفسها ان الاحتمال وارد.

«اوه، يالمناسبة الجميلة! غداء عائلي يغيب عنه احد افراد العائلة بطريقة مريبة ومثيرة للشكوك!»

رفعت سالي رأسها نحو مصدر هذا الصوت النسائي المزعج فالتقت عيناها بعيني شانتريل اللتين كانتا تشعان خبثاً ومكراً. وبدا لسالي على الفور ان هذه الفتاة تلاحقها باستمرار. هل هي حقاً تتعمد ذلك ام انها مجرد مصادفات؟

ردت سالي بلهجة هادئة ورصينة:

«لوك موجود في اديلايد بمهمة تتعلق بعمله.»

ثم شعرت ان عليها تقديم السيدتين الى بعضهما.

«يا للدهشة! كنت اعتقد ان والدتك يا سالي تعيش منفية في الولايات المتحدة.»

ردت اميلي بدماثة وبهدوء مثير للاعصاب:

«اعيش في نيويورك، وكلمة منفى لا تطابق الواقع على الاطلاق.»

«وهل اتيت الى سيدني لمواساة ابنتك وتسليتها خلال غياب زوجها؟»

ثم حولت نظرها الى سالي وقالت لها بخبث ولؤم واضحين:

«اوه، سالي! انت تعرفين بالطبع ان كارميلا ذهبت معه في هذه الرحلة؟ انا متأكدة من ان لوك اخبرك ذلك!»

«ولماذا تذهب كارميلا معه الى اديلايد، يا شانتريل؟»

وتابعت كلامها بهدوء وثقة بالغة بالنفس:

«كارميلا خبيرة محاسبة، وطبيعة العمل تفرض وجودهما معاً في اوقات كثيرة ومختلفة»

ضحكت شانتريل وقالت بتهكم:

«وجودهما معاً في اوقات مختلفة؟ هذا تصريح خطير!»

نظرت اميلي بحدة الى الفتاة المزعجة التي فرضت نفسها عليهم وقالت لها:

«انا الآن في مستهل حفلة غداء ممتعة... وخاصة. وانا متأكدة من انك قلت ما كنت تريدين قوله. وداعاً يا آنسة...»

وتعمدت التوقف عند ذلك الحد واعادت اهتمامها الى طعامها متجنبة مناداتها باسمها ومتجاهلة وجودها كلية. وشعرت سالي ان عليها متابعة الهجوم لتحقيق انتصار نهائي، فقالت:

«وداعاً يا شانتريل. لايمكنني القول بأنني سررت بهذا اللقاء... فوجودك لا يسر وحديثك لا يفرح!»

استدارت شانتريل بعصبية ظاهرة وتوجهت بسرعة الى احدى الطاولات البعيدة. وما ان ابتعدت عنهم، حتى قال جو بغضب هادئ:

«هذه الفتاة هي اسوأ شابة تعرفت عليها في حياتي. اني اعجب كثيراً كيف ان شخصين رائعين وطيبين مثل تشارلز واندريا يُنجبان فتاة كهذه!»

علقت اميلي بهدوء قائلة:

«انها شابة مشاكسة وتسعى الى المشاكل، والمشاكسون ينتهي بهم الأمر مع الوقت، الى تدمير انفسهم.»

ثم ابتسمت واضافت:

«ارفض اضاعة المزيد من الوقت حتى لمجرد التحدث عن هذه الفتاة اللعينة.»

كان من السهل جداً انهاء الموضوع بمثل هذه السرعة والعودة الى الاحاديث العائلية البحتة. لكن سالي ظلت تفكر بكلمات شانتريل طوال ذلك اليوم. فزوجها لم يذكر امامها ان كارميلا سترافقه في هذه الرحلة. ولكنه في الحقيقة لم تسنح له اي فرصة لذلك. ربما كان اخبرها لو انهما لم يتجادلا ثم يلتقيا باميلي على ذلك النحو المفاجىء. اللعنة! انه ذلك الشيطان الأخضر الصغير مرة اخرى... انها الغيرة. وامضت سالي تلك الليلة قلقة متضايقة، واستيقظت متعبة تشعر بانه لم يغمض لها جفن طوال الليل.

«انك تبدين في حالة مزرية يا ابنتي»

وقررت اميلي ان ترفه عنها، فقالت:

«ما تحتاجين اليه اليوم اكثر من غيره هو الغنج والدلال، وانا سأتولى تأمينهما لك. نذهب اولاً الى احد معاهد التجميل حيث نمضي عدة ساعات... الشعر، الوجه، الاظافر، كل شيء! ثم نختار مطعماً فخماً لتناول عشاء شهياً، وربما قررنا بعد ذلك حضور مسرحية او فيلم سينمائي. ما رأيك؟»

«لم لا؟»

كانت النتيجة مذهلة واثنت والدتها على منظرها الجميل والأنيق قائلة:

«انك تبدين رائعة، رائعة! من المؤسف ان لوك ليس هنا ليتمتع بالنظر بهذا الجمال وهذه الروعة.»

«وانت ايضاً يا امي تبدين جميلة وساحرة.»

«الآن وقد انتهينا من الاعراب عن الاعجاب المتبادل، دعينا نقرر خطوتنا التالية. موعد العشاء لم يحن بعد، فلماذا لا نعود الآن الى البيت ونرتدي ثياباً أجمل واكثر اناقة... تناسب منظرنا الرائع الجديد! وبعد ذلك نحجز لأنفسنا طاولة في احد المطاعم ونشرب فنجانا من القهوة ثم نقرر ماذا سنفعل بعد العشاء.»

ابتسمت سالي وقالت بمرح ظاهر:

«انت صاحبة القرار يا امي... ويبدو عليك انك تحسنين القيادة وادارة الدفة. انا ساتبع اوامرك.»

لم يمض على وجودها في البيت اكثر من ثلاثين دقيقة حتى رن جرس الهاتف. فقامت سالي الى اقرب جهاز ثم رفعت السماعة وسألت بصوت ناعم وهادىء:

«نعم! من المتكلم؟»

«ومن غير زوجك ايتها الحبيبة؟»

«لوك!»

لم تصدق في بادىء الأمر، ثم تمالكت اعصابها ورحبت به قائلة بلهفة صادقة:

«هل هذا انت حقا؟ كيف حالك ياحبيبي؟»

«ألم تتوقعي مني ان اتصل بك مرة واحدة على الأقل خلال غيابي؟ استنتج من هذا الترحيب الحار ان اميلي ليست بعيدة عنك!»

«نعم. كيف تسير الأمور معك في هذه الرحلة؟»

وشجعتها المسافة البعيدة التي تفصل بينهما على ان تضيف قائلة بغنج واغراء:

«لا تسأل كم افتقدك واتشوق لعودتك.»

«ايتها الزوجة الحبيبة، انك على وشك اقناعي بتأجيل اعمالي والعودة اليك على متن اول طائرة متجهة الى سيدني.»

«لا، لا! يجب ألا تفعل ذلك! اميلي وانا نمضي اوقاتاً رائعة، ولم نترك ايا من المحلات التجارية الفخمة الا وزرناه.»

ولم تتمكن من مقاومة الاغراء القوي الذي شعرت به، فاضافت بلهجة ناعمة ورقيقة:

«ارجو ان تكون جميع الامور قد سارت وفقاً لما تريد وترغب. لا شك في ان وجود كارميلا معك يساعدك كثيراً. التقيت شانتريل امس وكانت في قمة السعادة عندما ابلغتني ذلك.»

رد عليها لوك مهدداً بصوت منخفض:

«اشكري الله العلي القدير يا زوجتي الحبيبة لأنك بعيدة عني، والا لكنت الان تتوسلين اليّ للتوقف عن تأديبك.»

تظاهرت بالابتسام وتمتمت:

«انها كلمات رقيقة وحنونة صادرة عن زوج محب ومخلص. متى ستعود؟»

«ليس قبل الثلاثاء، لسوء الحظ سأخبرك على اي طائرة سأصل. الى اللقاء ياصغيرتي.»

واقفل الخط... وبعد بضع ثوان اعادت سالي السماعة الى مكانها وهي تقول بلهجة حاولت ان تصوّرها طبيعية الى ابعد حد:

«لوك، طبعاً! انه سيتأخر بضعة ايام... لن يعود قبل بداية الاسبوع المقبل.»

«خسارة! كنت اتطلع لتمضية مزيد من الوقت معه. الآن سنضطر لتأجيل احاديثنا الى ما بعد عودتي من داروين.»

اخذت سالي مجلة وتظاهرت بأنها تقرأها وذلك في محاولة جاهدة منها للاحتفاظ بهدوء اعصابها ورباطة جأشها. فصوت لوك، على الرغم من بعض التهكم، اعاد الى قلبها فجأة ذلك الألم والى حلقها تلك الغصة بعد ان تمكنت من تناسيها طوال ذلك اليوم. سكبت فنجانين من القهوة واعطت امها الفنجان الخالي من السكر فيما احتفظت هي بالآخر.

«ابنتي الحبيبة، انك لاتركزين على الاطلاق.»

ردت سالي بذهن شارد وافكار مشوشة:

«انا آسفة. ماذا قلت؟»

قامت اميلي من مكانها واستبدلت الفنجانين ثم قالت:

«انك تحبينه كثيراً. أليس كذلك؟»

«انا..»

وبلعت سالي ريقها بصعوبة ثم اكملت جملتها:

«نعم... نعم! احبه كثيراً!»

واخيراً، اعترفت لنفسها قبل غيرها بانها حقاً تحبه... وتحبه كثيراً، وسمعت امها

تقول لها بارتياح واضح:

«انا مسرورة جداً. زواجك جيد وموفق. وقد تأكدت الآن بنفسي.»

مسرورة؟ زواج موفق؟ وشعرت سالي برغبة قوية في الضحك لكنها حافظت على هدوئها وسيطرت على اعصابها ولم تقل شيئاً. وتابعت امها حديثها قائلة بحنان:

«انا آسفة لأنني شككت بحكمة قرارك. كنت اخشى انك ارتكبت خطأ جسيماً قد تندمين عليه في وقت لاحق. ولكنني سأعود الآن مرتاحة البال ومطمئنة.»

ثم ابتسمت بسعادة ومضت الى القول:

«يجب عليكما ان تقوما بزيارتنا في نيويورك. فهانك سيسعده ذلك كثيراً.»

«شكراً يا اميلي. اعتقد ان الوقت حان لننتهي من شرب القهوة ونتوجه الى المطعم.»

كان الوقت متأخراً جداً عندما عادت سالي ووالدتها الى البيت. ولما توجّها الى غرفة نومها، احست سالي بأنها بحاجة ماسة الى الراحة والنوم. كان النهار ممتعاً للغاية.. ولكنه كان ايضا متعباً من الناحيتين الجسدية والنفسية. كيف ستتمكن من انتظار عودته اربعة ايام كاملة؟ صوته ايقظ فيها تلك الرغبة الجامحة التي حاولت كبتها وكبح جماحها. ولم تعد ترى امامها، ليلا او نهاراً... في الحلم او في اليقظة، سوى وجهه الجذاب وملامحه الرائعة.

تجولت الضيفة ومضيفتها صباح السبت في ارجاء المتحف والتقطت اميلي بعض الصور. وبعد تناولها غداء خفيفاً، اعربت الأم عن رغبتها في زيارة دار الاوبرا. ولاحظت سالي بارتياح ان والدتها تعاملها بمحبة وحنان وانها تخلت على ما يبدو عن حب التسلط واللهجة الآمرة.

«جو سيأخذنا الى العشاء الليلة.»

«ربما لديه خطط اخرى لهذه الأمسية. ثم، اننا لانعطيه وقتا كافياً لاعداد نفسه.»

«هراء. سنذهب الى شقته الآن لابلاغه رغبتنا في تناول العشاء معه... ذلك افضل بكثير من الاتصال به هاتفياً.»

شعرت سالي ان لا مجال للاعتراض! وجو ايضا... مسكين! سيضطر للقبول بما ستفرضه عليه الزوجة السابقة. وتبين لها فيما بعد بأنها كانت سهرة ممتعة للغاية. فقد ذهبوا الى مطعم صغير تملكه وتديره عائلة ايطالية، وكان الطعام شهياً ولذيذاً والجو مرحاً ومفرحاً. وكان احد الابناء يؤدي اغنيات شعبية خفيفة فيما كان شقيقاه يعزفان على الكمان والبيانو.

في اليوم التالي استيقظت اميلي وابنتها باكراً وتوجهتا الى احد الخلجان القريبة حيث امضتا معظم ساعات النهار في السباحة واللعب وتبادل الاحاديث المرحة. وصباح الاثنين الباكر اوصلت امها الى المطار حيث استقلت طائرة متجهة الى بيرث. وقررت سالي اثناء عودتها الى البيت ان تعرّج على مكان عملها السابق. ولما وصلت، توجهت فوراً الى المطبخ لتسمع كلود يقول لها بدهشة بالغة:

«سالي! رباه! ماذا تفعلين هنا؟»

لم تتمكن من مقاومة الرغبة في اغاظته قليلا. اذ اجابته بحزن مصطنع:

«أهكذا ترحبون بصديقة حميمة وموظفة سابقة؟»

ابتسم كلود وقال:

«على الرحب والسعة ياعزيزتي. انها مفاجأة سارة جداً. انك بالتأكيد تتسوقين في احد المحلات القريبة.»

ضحكت سالي وقالت:

«اخذت والدتي الى المطار... زوجي غائب... وامامي عدة ساعات فراغ لا اعرف ماذا سأفعل بها. قلت لنفسي انني الآن قادرة على زيارة بعض الاصدقاء. هل لديك مانع؟»

«اذا طال بقاؤك هنا، سأنسى انك تركت العمل منذ بضعة اسابيع وربما اغرتني نفسي باستغلال مواهبك.»

«هل تغيب احد اليوم؟»

هز رأسه مؤكداً شكوكها. فسارعت الى القول باخلاص ودون مواربة:

«يمكنني البقاء بضع ساعات... النهار بكامله. ان كنت بحاجة اليّ.»

انها فعلاً مناسبة جيدة لتمضية ساعات الفراغ المملّة والهاء نفسها عن التفكي طوال الوقت بزوجها. وافق كلود بتحفظ فشمّرت عن ساعديها وبدأت بالعمل

كانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة والنصف عندما توجهت اخيراً إل سريرها وهي تشعر بتعب لذيذ بعد اول يوم عمل شاق منذ زواجها. ولم ينتصف الليل الا وكانت تغط في نوم عميق وهادىء. وظلت نائمة حتى ايقظها رنين المنب في تمام الثامنة. هذا هو اليوم الذي يعود فيه لوك.

واحست بغصة في قلبها واخذ جسمها يئن ويتألم. حتى ان كارلو شعر بفقدان شهيتها عندما لاحظ انها لم تأكل شيئاً تقريباً وسألها باهتمام ولهفة:

«هل تفضلين انواعاً اخرى من الطعام؟»

وجهت اليه نظرة اعتذار باسمة وقالت:

«لا، شكراً يا كارلو. انا غير جائعة... هذا كلّ ما في الأمر. هل تعرف.... متى يصل لوك الى البيت؟»

أليس من السخافة ان تسأل؟ فان كانت هي لا تعرف كيف تتوقع من كارلو ان يعرف؟

«انه يتصل دائماً من المطار. واتصوّر انه سيصل على موعد العشاء. هل تريدين اعداد الطعام؟»

«هل من مانع؟ انه على الأقل يلهيني ويدع الوقت يمر بسرعة اكبر.»

«وهذا هو الأمر المهم. أليس كذلك؟»

«نعم.»

وبدأت على الفور تفكر بما ستعد له من مأكولات شهية يتناولانها على ضو الشموع... وبعد ذلك... اوه، لماذا وقعت بحبه... وعلى هذا النحو العنيف؟ انه ل يعلن لها عن اي حب يكنّه تجاهها. واكثر من ذلك انه على الأرجح لن يبادل الحب. انها مجرد آلة يستخدمها لتنجب له صبياً. وتذكرت انه مرّت اوقات احست خلالها انه يهتم بها... ولكن الرغبة ليست كالحب وخبرتها في هذا المجال ضعيفة

جداً لتعرف الفارق بينهما.

خرجت الى الشرفة وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والتوتر يمزق اعصابها ويقض مضجعها. بماذا يفكر لوك الآن؟ هل يجهز نفسه للمعركة مع زوجة تحب الجدال وتألمت سالي عندما تذكرت بعض المصاعب التي واجهتهما طوال الاسابيع القليلة من زواجهما. علاقتهما لم تكن جيدة في اي وقت من الاوقات.... سوى في السرير. كم ستظل تكره نفسها لأنها احبته؟ انها تحبه ولا تخجل من ذلك ابداً!

اين هو الآن ياترى؟ مرت ساعة فصبت فنجاناً آخر من القهوة وقد زاد قلقها وخوفها. أليس من الممكن انه ليس متأخرا بل انه لن يحضر لسبب او لآخر؟ وشعرت بآلام حادة تعصر قلبها... هل وقع له حادث....

«أسكبي لي فنجاناً، ان لم تكن القهوة قد بردت قليلاً.»

احست سالي بانها على وشك ان ترمي الفنجان من يدها! شهقت! لم تشعر بقدومه... ربما بسبب التلفزيون... او نتيجة التوتر الشديد الذي تمر به. استدارت نحوه بتمهل وقالت:

«افزعتني!»

وتأملت منكبيه العريضين ثم ركزت نظرها على وجهه فيما شعرت بالجوع والرغبة تجاه هذا الرجل، الذي يبدو منتعشا الى درجة لا تصدق. وسألته قبل ان يعلق بشيء:

«هل السماء تمطر الآن؟»

مد لوك يده الى شعره المبتل وقال باسما:

«ثقب احد اطارات السيارة لدى قدومي من المطار. وكما تعلمين، فان عملية ابدال الاطار اثناء الليل ليست سهلة على الاطلاق... وشعرت لدى وصولي الى البيت بأنني بحاجة الى حمام وثياب جديدة.»

فتحت فمها دهشة ثم سألته بتعجب واستغراب:

«وكم مضى على وصولك الى البيت؟»

«حوالي خمس عشرة دقيقة.»

ثم ابتسم واضاف قائلاً:

«كنت اتوقع ان اجدك في الفراش.»

ازاحت وجهها عنه متجنبة نظراته الساخرة والماكرة. وقالت له:

«كنت قلقة عليك.»

«آه، حقاً؟ وهل تصورت انني اصبت بحادث سيارة؟ من المؤكد انك كنت تنتظرين بفارغ الصبر نبأ اصابتي بجراح مثخنة... او ربما أسوأ... أليس كذلك؟»

وضحك بسخرية مؤذية ثم اضاف بالحدة ذاتها:

«اخبريني ايتها الزوجة الحبيبة، هل كنت ستذرفين الدمع لو قتلت؟»

لم تجب... لم تتمكن من الاجابة. اختنق صوتها... وزاد الألم في صدرها وقلبها. كل ما كانت تريده في تلك اللحظة هو الهرب من هذا الرجل البغيض الذي كانت سخريته الحاقدة تؤذيها وتزعجها بصورة لا تحتمل.

«هل فقدت القدرة على الكلام؟»

وضعت سالي فنجانها على منضدة قريبة ثم بدأت تمشي بسرعة نحو الباب.

«سالي!»

لدى سماعها صوته بدأت تركض نحو الدرج بسرعة، وكأن الغضب الأعمى اهدى قدميها جناحين لتطير بهما بعيدا عنه... وعن نظراته... وكلامه! وبعد ثوان قليلة امسكت يدان قويتان بكتفيها فاوقفتاها وشلتا حركتها. ترك احد الكتفين وامسك بذقنها بسرعة واخذ يحدق بشفتيها المرتجفتين وعينيها الزرقاوين الغارقتين بالدموع. وبعد لحظات تخيلتها دهرا، مد يده ومسح بحنان دمعتين تسابان بسرعة وصمت على خديها.

«كل هذا...»

وتوقف لحظة وقد اصبح صوته رقيقاً وحنوناً وابتسامته لطيفة ونابعة من القلب. ثم اضاف:

«كل هذا من اجل ساعة تأخير في الوصول الى البيت؟»

«انك لم تذكر لي انك ستأخذ كارميلا...»

وضع يده على فمها فأخرسها... وقال لها بوداعة وهدوء:

«يا حبيبتي الغبية! انا لم آخذ كارميلا معي الى اديلايد. لم نسافر في يومين مختلفين فحسب، بل كنا هناك ايضا في فندقين مختلفين. وجودها في اديلايد كان ضرورياً لأمور تتعلق بالعمل... لا اكثر ولا أقل.»

رفعت يديها المرتجفتين في محاولة لتجفيف دموعها ولكنه امسك بهما قائلاً:

«حبيبتي؟»

«لا تطلق علي هذه الصفة الكاذبة! انا لست حبيبتك... لم اكن ابداً، ولن اكون!»

«ألست حبيبتي؟»

سألها بنعومة ثم ضمها اليه واضاف قائلاً:

«انت نصفي الحلو ياحبيبتي، الا تعرفين ذلك؟»

ثم امسك وجهها بين يديه بنعومة وقال لها بمحبة صادقة:

«انني احبك يا سالي... احبك كثيرا.»

ارادت ان تصرخ... ان تقول شيئا... ولكن صوتها خانها. فرفعت احدى يديها وراحت تمررها على خده. اخذ تلك اليد بحنان وقبلها بحرارة وهو يقول:

«اوه، كيف كنت قادرة على محاربتي... بالكلام، وباسلوب لم اكن لأتحمله من اي انسان آخر! لم يحدث ابداً من قبل ان كانت لأي امرأة القدرة على اثارة رغبتي في لحظة، ثم غضبي وسخطي في لحظة اخرى»

ثم ابتسم واضاف مازحاً:

«مرت اوقات كثيرة شعرت خلالها ان بامكاني ان ادق عنقك وانا اضحك وامرح.»

«وانت ايضا لم تكن النموذج المطلوب للزوج المحب والفاضل.»

لم تفهم بعد تماماً انه يحبها... انه حقاً يحبها! واضافت معاتبة:

«كنت فاسقاً ومتعجرفاً! وكان يبدو انك تفرح لاغاظتي وتسرّ لازعاجي... كقطة شرسة تلاعب فأراً صغيراً خجولا وخائفا. هل تتعجب لأنني حاولت رد الكيل

كيلين؟»

نظر اليها بعينين ساحرتين ونظرات حارقة شعرت بانها ستذيب عظامها. ثم قالت له هامسة بارتعاش:

«احبك. احبك.. اوه، لوك!»

«لا يمكنك ان تتصوري كم كنت ارغب في سماع هذه الكلمات الجميلة.»

دفنت رأسها في صدره مرتاحة لشعور الانتماء الذي يزيد من قوته، ضمها بشدة بين ذراعيه. وهمست بصوت مرتجف:

«لا اعتقد انني سأتحمل تمضية اي وقت آخر بعيدة عنك. ان استيقظ في الظلام وأجد فراغاً كبيراً قربي هو امر رهيب ولا يطاق!»

قال لها لوك مؤكداً:

«من الآن فصاعداً ستصحبينني في اي رحلة اقوم بها.»

فراشة المحبة